في رحاب

دعاء

ابي حمزة الثمالي

امل حسن

في رحاب
دعاء
أبي حمزة الثمالي

أمل حسن

دار الاعتصام

للطباعة والنشر

في رحاب دعاء أبي حمزة الثمالي

تأليف: امل حسن

الطبعة: الأولى ، رمضان ١٤١٩هـ. ق ، المطبعة مهر

عدد الصفحات ١٩٢ ، العدد ١٠٠٠ نسخة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين

وأشرف الصلاة وأتم التحية والسلام

على المبعوث رحمة للأنام وعلى آله

الهداة الكرام

الإهداء

الى نور عيوننا وأمل قلوبنا
الى الغائب عن العيون الحاضر في القلوب
أهدي هذا الجهد المتواضع

يا أيّها العزيز مسّنا وأهلنا الضر
وجئنا ببضاعة مزجاة
فأوفِ لنا الكيل
وتصدق علينا
إنّ الله يجزي المتصدّقين

أمـل

الإمام

زين العابدين عليه السلام

ولد الإمام علي زين العابدين بن الإمام الحسين عليهما السلام في الخامس من شعبان سنة ٣٨هـ . وأُمه شاه زنان ابنة يزدجرد بن شهريار بن كسرى التي أبدل الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام لقبها بشهربانو ، حيث تعني الترجمة الحرفية له (سيدة نساء المدينة) تاركاً اللقب الأول للسيدة فاطمة الزهراء (سلام الله عليها) . وهو يعني (سيدة نساء العالمين) .

وقد قيّض الله لهذه السيدة زواجاً كريماً حيث جمعها مع الحسين عليه السلام لتنجب حجة الله على أرضه (الإمام زين العابدين عليه السلام) ، وقيضها لهذه المهمة إذ ماتت بعد إنجابه بأيام .

امتاز الإمام زين العابدين عليه السلام بسمّوه الروحي والفكري والأخلاقي ، ولقد وصفه عدد من شخصيات عصره لنا ، فهذا سعيد بن المسيب يُعرّفه بقوله : « هذا سيد العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب »[١] .

وسفيان بن عيينه يقول : « ما رأيت هاشمياً أفضل من علي بن الحسين ولا أفقه منه »[٢] .

والزهري قال فيه : « لم أدرك أحداً من أهل هذا البيت ـ بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم ـ أفضل من علي بن الحسين » .

أمّا مالك فقد قال : « لم يكن في أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مثل علي بن

---

١) تاريخ اليعقوبي / ج ٢ / ص ٤٦ .

٢) الإمام زين العابدين علي بن الحسين / اصدارات دار التوحيد .

الحسين »[١].

وجابر بن عبد الله الأنصاري الصحابي الجليل لزم الإمام علي بن الحسين عليهما السلام وقال عنه: « ما رؤي من أولاد الأنبياء مثل علي بن الحسين ».

وقد نعاه عمر بن عبد العزيز عند وفاته وقال آسفاً: « ذهب سراج الدنيا وجمال الإسلام وزين العابدين ».

ولقد أُعد الامام عليه السلام في بيت الرسالة ما وفّر لكيانه الروحي سموّاً لم ينله إلّا رسول أو إمام معصوم، حيث سماه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قبل أن يولد بزين العابدين. ويحدثنا ابنه الامام الباقر عليه السلام عن سبب لقبه بالسجاد حيث قال: « **انه ما ذكر لله عز وجل نعمة الا وسجد ولا قرأ آية من كتاب الله عز وجل فيها سجود الا وسجد ولا فرغ من صلاة مفروضة الا وسجد ولا وفق لإصلاح بين اثنين الا وسجد وكان أثر السجود في جميع موضع سجوده فسمي السجاد لذلك** ».

ولقد أجهد نفسه بالعبادة وحملها من أمرها رهقاً، وقد خاف عليه أهله حتى اشتكت السيدة فاطمة بنت الامام علي عليه السلام لجابر بن عبد الله الانصاري. ونترك الامام الباقر عليه السلام يحدثنا بهذا الحديث، حيث قالت: « يا صاحب رسول الله ان لنا عليكم حقوقاً ومن حقنا عليكم ان رأيتم أحدنا يهلك نفسه اجتهاداً أن تذكروه الله وتوعوه الى البقيا على نفسه وهذا علي بن الحسين بقية أبيه الحسين قد انخرم أنفه ونقبت جبهته وركبتاه وراحتاه مما دأب على نفسه في العبادة ».

---

١) حلية الأولياء / ج ٣ / ص ٣٠٩.

وانطلق جابر الى الامام زين العابدين فوجده في محرابه قد أضنته العبادة وأجهدته الطاعة ونهض الامام فاستقبل جابر وأجلسه الى جنبه وسأله سؤالاً حفياً عن حاله وأقبل جابر عليه قائلاً:

« **يابن رسول الله أما علمت أن جدك رسول الله قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فلم يدع الإجتهاد له وتعبد ـ بأبي وأُمي ـ حتى انتفخ ساقه وورم قدمه وقد قيل له أتفعل هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ فقال: أفلا أكون عبداً شكوراً** ».

ولمّا نظر جابر الى الامام لا يغني معه قول يميل به من الجهد والتعب طفق يقول له : « يابن رسول الله البقيا على نفسه فإنك من أُسوة بهم يستدفع البلاء وبهم تستكشف الأدواء وبهم تستمطر السماء ، فأجابه الامام بصوت خافت :

« **لا أزال على منهاج أبويَّ مؤتسياً بهما حتى ألقاهما** » ، وبهر جابر وأقبل على من حوله قائلاً:

« ما رؤي من أولاد الأنبياء مثل علي بن الحسين الا يوسف بن يعقوب والله لذرية الحسين أفضل من ذرية يوسف بن يعقوب إن منهم لمن يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً »[1].

أما أخلاقه عليه السلام فهي أكثر من أن تحصى ، حيث امتاز بالحلم والتواضع والكرم والصبر والشجاعة والقوة ، ولقد كان في قوته وشجاعته وصبره وتجلده مما يُذكر الناس بقوة وشجاعة الامام علي عليه السلام ، ويروى انه حين توجه من أبيه في قافلة

---

(١) حياة الامام محمد الباقر عليه السلام / ج ١ / ص ٤١.

الشهادة الى كربلاء وبدأ الإستعداد للقتال تم تخصيص كل فرد بدرع وسيف وكانت الدرع التي خصصت له طويلة تصل الى ركبتيه فما كان منه عليه السلام الا أن لوى طرفها بمقدار الزيادة ثم كسرها بيديه حتى غدت ملائمة لطوله فلا تعيق حركته فارتفع صدى الإستحسان من الحاضرين لما رأوه من شدته وقوته.

أما علمه فمن تراثه الفكري الخالد رسالته الى بعض أصحابه المعروفة بـ(رسالة الحقوق) وهي دستور لحياة الناس العامة والخاصة وتحدد واجبات الانسان تجاه ربه وكيفية التصرف بالنعم التي أسبغها الله تعالى عليه وكذلك ترك تراثاً ثرّاً وهو المعبر عنه بزبور آل محمد، وهي صحيفته السجادية الخالدة.

ولقد كان يكرم طلاب العلم ويرفع مكانتهم فإذا رأى أحداً منهم رحب به وقال له: **«مرحباً بوصية رسول الله صلى الله عليه وآله»** وقال عنه الامام الباقر عليه السلام: **«كان أبي زين العابدين إذا نظر الى الشباب الذين يطلبون العلم أدناهم اليه وقال مرحباً بكم أنتم ودائع العلم يوشك إذ أنتم صغار قوم أن تكونوا كبار آخرين»**[١].

وهذا إعداد لهؤلاء الشباب لقيادة الأمة في المستقبل وجعلهم يحسون بعظمة المسؤوليات التي ستلقى عليهم المستقبل وشحذ هممهم في طلب العلم النافع لهم.

أما القراء الذين يمثلون في تلك الفترة طبقة الفقهاء ومثقفي الأمة فقد كانوا لا يفارقون الامام زين العابدين عليه السلام في حله وترحاله ليكتسبوا منه المعارف الإلهية والعلوم والآداب، وقد وصف سعيد بن المسيب ـ وهو أحد التابعين ـ ذلك، فقال:

---

(١) المصدر السابق.

«ان القراء لا يخرجون الى مكة حتى يخرج علي بن الحسين فخرج وخرجنا معه ألف راكب»[1]، وعلى هذا فإن القراء الذين هم طليعة الأمة يعتبرونه مرجع الأمة وقائدها فيمشون في ركابه ليهتدوا بهديه ويقتبسوا من نوره.

وبعد فليعذرني القارىء الكريم على هذه العجالة في المرور على حياة الامام زين العابدين وسيد الساجدين (عليه وعلى آبائه التحية والسلام) والا فإن حياته لا تستوفيها المجلدات الضخمة والأسفار العظيمة لأنها البحر الزاخر.

أما وفاته، فقد قام طاغي بني أمية الوليد بن عبد الملك بجريمته النكراء وذلك بإرسال السم الى عامله على المدينة المنورة وأمره أن يدسه للإمام عليه السلام، ونفذ عامله ذلك، وقد قاسى الامام أشد الآلام وأقساها على فراش المرض أياماً يبث شكواه الى الله تعالى ويشكره رزقه الشهادة على يد شرار خلقه عام ٩٥هـ.

---

(١) حياة الامام الباقر عليه السلام / باقر شريف القرشي.

أبو حمزة الثمالي

اسمه ثابت بن دينار، لقب بالثمالي نسبة الى **ثمالة** (بالثاء المضمومة) وهو اللبن ذو الرغوة وأول من لقب بهذا اللقب هو عمر بن أسلم بن حجر، لأنه أطعم قومه وسقاهم اللبن بثمالته أي برغوته(١).

وأبو حمزة الثمالي عربي أزدي وهو من أعلام التقوى والصلاح، قال عنه الامام علي بن موسى الرضا عليه السلام: «**أبو حمزة الثمالي في زمانه كسلمان في زمانه وذلك لأنه خدم أربعة منا: علي بن الحسين ومحمد بن علي وجعفر بن محمد وبرهة من عصر موسى بن جعفر عليهم السلام**»(٢).

وكان من زهاد أهل الكوفة ومشايخها ومن خيار الشيعة ومستجاب الدعوة، وقد سقطت بنيّة لأبي حمزة فانكسرت يدها فدخلته رقة عليها فبكى ودعا فتناول بيد الصبية فلم ير بها شيئاً فاستجيب له في أسرع من طرفة عين(٣).

استشهد أولاده مع الشهيد زيد بن علي عليهما السلام(٤).

أما مؤلفاته فهي:

---

(١) حياة الإمام الباقر عليه السلام باقر شريف القرشي /ج ٢ /ص ٢٢٠.
(٢) سفينة البحار /ج ٢ /ص ٤٤٠.
(٣) رجال الكشي.
(٤) رجال النجاشي.

١ ـ كتاب في تفسير القرآن الكريم.

٢ ـ كتاب النوادر.

٣ ـ كتاب الزهد.

توفي أبو حمزة الثمالي سنة ١٥٠هـ.

مع الدعاء

(الهي)

الإله اشتق من الفعل أله الرجل أي تحير، حيث تحيرت في ذاته العقول أو أنه اشتق من فعل يأله أي عبد وسمي إلهاً أي معبوداً فتوجيه الداعي بالدعاء بـ(الهي) أي معبودي.

﴿لا تؤدبني بعقوبتك﴾

الامام عليه السلام ومن خلال هذه الكلمات يؤدبنا بأدب يمكن أن نسميه بأدب الدعاء وهو يوحي الينا بأن نبتدىء الدعاء نحن العباد المخطئين بالاعتراف بالذنوب حيث ان طلب الترحم من الله ودعاء الله بعدم الايذاء بالعقوبة فيه اعتراف ضمني باقتراف الذنوب وجاء عن الامام علي عليه السلام: «**إن البلاء للظالم أدب**» وعلى هذا فالداعي يُعجل بالدعاء قبل نزول العقوبة ويعترف بقلة الأدب.

﴿ولا تمكر بي في حيلتك﴾

المكر في اللغة: الخديعة. وقال الليث: هو الإحتيال في خفية. وقيل المكر صرف الإنسان عن مقصده بحيلة وهو نوعان محمود يقصد فيه الخير ومذموم يقصد فيه الشر.

أما المكر من الله فيقول الليث: جزاء وسمي باسم مكر المجازي وكما قال الله تعالى: (**وجزاء سيئة سيئة مثلها**) فالثانية ليست بسيئة في الحقيقة ولكنها سميت لازدواج الكلام.

أما الراغب الاصفهاني فقد قال: «مكر الله إمهال العبد وتمكينه من إعراض الدنيا» ولذلك قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**من وسع عليه دنياه ولم يعلم أنه مكر به فهو مخدوع**

عن عقله».

أما ابن الأثير فقد قال: «مكر الله ايقاع بلائه بأعدائه دون أوليائه».

والله تعالى يمكر بالطغاة والفساق والكفار حيث استحقوا بطغيانهم وعصيانهم غضب الله وانتقامه وذلك بالإملاء لهم وتوسع الدنيا عليهم وتمكينهم منها وكما قال الله تعالى في سورة الأعراف الآيتين ١٨٢ ـ ١٨٣: ﴿والذين كذبوا بآياتنا **سنستدرجهم من حيث لا يعلمون، واملي لهم إن كيدي متين**﴾ والإستدراج من أنواع المكر الإلهي، فكما قال الإمام الصادق عليه السلام: «**إذا أراد الله بعبد خيراً فأذنب ذنباً أتبعه بنقمة ويذكره الإستغفار وإذا أراد الله بعبد شراً فأذنب ذنباً أتبعه بنعمة لينسيه الإستغفار ويتمادى به وهو قوله تعالى: ﴿سنستدرجهم من حيث لا يعلمون﴾**».

﴿من أين لي الخير ـ يا رب ـ ولا يوجد الا من عندك ومن أين لي النجاة ولا تستطاع الا بك﴾

هنا يتقرب الداعي من الله سبحانه وتعالى بنفي كل قدرة وكل سبب من دون الله تعالى ونفي الإستقلال حيث يرى الله تعالى هو السبب الوحيد المستقل بتدبير الأمر والداعي هنا خاطبه بـ(يا رب)، حيث ان معنى الرب من الربوبية وهي الولاية التكوينية بتدبير الامور وتنظيم المسببات والأسباب بحيث يتعين للإنسان الوجود والبقاء واتخاذه تعالى رباً ولياً من جهة التكوين إرجاع أمر التدبير إليه بالإنقطاع عن الأسباب الظاهرية والركون اليه من حيث انه سبب غير مغلوب ينتهي اليه كل سبب،

وهذا هو التوكل[١]

وقد سأل النبي صلى الله عليه وآله وسلم جبرئيل عليه السلام: «**ما التوكل على الله عز وجل؟ فقال: العلم بأن المخلوق لا يضر ولا ينفع ولا يعطي ولا يمنع واستعمال اليأس من الخلق فإذا كان العبد كذلك لم يعمل لأحد سوى الله ولم يرجُ ولم يخف سوى الله ولم يطمع في أحد سوى الله فهذا هو التوكل**»[٢].

وعن محمد بن عجلان قال: «أصابتني فاقةٌ شديدة وضائقة ولا صديق لمضيق ولزمني دين ثقيل وغريم يلحُّ باقتضائه فتوجهت نحو دار الحسن بن زيد وهو يومئذ أمير المدينة لمعرفةٍ كانت بيني وبينه وشعر بذلك من حالي محمد بن عبد الله بن علي بن الحسين وكانت بيني وبينه قديم معرفة فلقيني في الطريق فأخذ بيدي وقال لي قد بلغني ما أنت بسبيله ولا تستعن بطلبتك فعليك بمن يقدر على ذلك وهو أجود الأجودين فالتمس ما تؤمله من قبله فإني سمعت ابن عمي جعفر بن محمد يحدِّث عن أبيه عن جده عن أبيه الحسين بن علي عن أبيه علي بن أبي طالب عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «**أوحى الله عزَّ وجلَّ الى بعض أنبيائه في بعض وحيه إليه: وعزتي وجلالي لأقطعن أمل كل مؤمل غيري بالإياس ولأكسونّه ثوب المذلة في النار ولأُبعدنّه من فرجي وفضلي أيومل عبدي في الشدائد غيري والشدائد بيدي أو يرجو سواي وأنا الغنيُّ الجواد بيدي مفاتيح الأبواب وهي مغلقة وبابي مفتوح لمن دعاني ألم يعلم أنّه ما أوهنته نائبة لم يملك كشفها عنه غيري فما لي أراه بأمله معرضاً عني قد أعطيته بجودي وكرمي ما لم**

---

(١) الميزان في تفسير القرآن / ج ١٨ / ص ٢٩.
(٢) بحار الأنوار / م ١١ / ص ١٣٨.

يسألني فأعرض عني ولم يسألني وسأل في نائبته غيري وأنا الله أبتدي بالعطيّة قبل المسألة أفأُسأل فلا أجيب؟ كلا أوليس الجود والكرم لي؟ أوليس الدنيا والآخرة بيدي؟ فلو أن أهل سبع سماوات وأرضين سألوني جميعاً فأعطيت كلّ واحد منهم مسألته ما نقص ذلك من ملكي مثل جناح بعوضة وكيف ينقص ملك أنا قيّمه فيا بؤساً لمن عصاني ولم يراقبني.

فقلت له: «يا ابن رسول الله أعد عليَّ هذا الحديث فأعاده ثلاثاً فقلت لا والله لا سألت أحداً بعد هذا حاجة فما لبثت أن جاءني الله برزق وفضل من عنده»[1].

﴿لا الذي أحسن استغنى من عونك ورحمتك ولا الذي أساء واجترأ عليك ولم يرضك خرج عن قدرتك يا ربّ، يا ربّ، يا ربّ﴾

اجترء: من الجرأة. تطاول.

المعنى: أن الجميع محتاجون لله لا المحسن يستطيع الإستغناء عن رحمة الله ولا المسيء المتطاول على حرماته والمسرع في معصية الله خارج عن قدرته تعالى.

﴿بك عرفتك وأنت دللتني عليك ودعوتني اليك ولو لا أنت لم أدرِ ما أنت﴾

قال الشيخ الصدوق رضي الله عنه: وهو أن يقال عرفنا الله بالله لأنا ان عرفناه بعقولنا فهو عز وجل واهبها وان عرفناه عز وجل بأنبيائه ورسله وحججه: فهو عز وجل باعثهم ومرسلهم ومتخذهم حججاً وان عرفناه بأنفسنا فهو عز وجل محدثها فبه عرفناه[2].

---

(١) بحار الأنوار / م ٧١ / ص ١٥٤.

(٢) توحيد الصدوق / ص ٢٨٨.

وفيما سأل الجاثليق[1] أمير المؤمنين عليه السلام أن قال: «أخبرني عرفت الله بمحمد أم عرفت محمداً بالله عز وجل؟ فقال علي بن أبي طالب عليه السلام: **ما عرفت الله بمحمد صلى الله عليه وآله ولكن عرفت محمداً بالله عز وجل حين خلقه وأحدث فيه الحدود من طول وعرض فعرفت أنه مدبر مصنوع بالإستدلال وإلهام منه وأرادة كما ألهم الملائكة طاعته وعرّفهم نفسه بلا شبه ولا كيف**»[2].

ومن دعاء الامام الحسين عليه السلام في يوم عرفة: «**إلهي ترددي في الآثار يوجب بُعد المزار فاجمعني عليك بخدمة توصلني إليك. كيف يستدل عليك بما هو في وجوده مفتقر إليك أيكون لغيرك من الظهور ما ليس لك حتى يكون هو المظهر لك متي غبت حتى تحتاج الى دليل يدل عليك بك استدل عليك فأهدني بنورك إليك**». والمعنى العام أن الباحث عن الله في خلقه يوصل الى البعد عن نور الله تعالى فكيف يستدل على الله تعالى بما محتاج في وجوده الى الله تعالى (لأن ممكن الوجود يحتاج الى علة لإيجاده) ليظهره والمحتاج لله كيف يُظهر الله ومتى غاب الله عن القلوب والعقول حتى يحتاج الى دليل يدل فبنوره استدل عليه.

ومن أسئلة أبي العوجاء[3] عن الصادق عليه السلام أنه قال: «لم احتجب عنهم وأرسل اليهم الرسل ولو باشرهم بنفسه كان أقرب الى الايمان به [قال]: فقال لي: **ويلك كيف**

---

(١) الجاثليق كلمة يونانية تعني كبير الأساقفة.

(٢) توحيد الصدوق / ص ٢٨٧.

(٣) عبد الكريم بن أبي العوجاء: خال معن بن زائدة وكان من الزنادقة المشهورين، قتله عمر بن عبيد بالكوفة سنة ١٦١.

احتجب عنك من أراك قدرته في نفسك؟ نشؤك ولم تكن وكبرك بعد صغرك وقوتك بعد ضعفك... وما زال بعد عليَّ قدرته التي في نفسي التي لا أدفعها حتى ظننت أنه سيظهر فيما بيني وبينه»[١].

﴿الحمد لله الذي أدعوه فيجيبني وان كنت بطيئاً حين يدعوني﴾

جعل الله تعالى الحمد مفتاحاً لذكره وسبباً للمزيد من فضله ودليلاً على آلائه وعظمته والحمد هو الثناء على الجميل الاختياري حيث أن كل حمد يصدر من أي حامد اختياراً أم بغير اختيارٍ فهو لله تعالى لأن الكل مخلوق ومربوب له عز وجل وحمد الله تعالى من أفضل العبادات ولهذا افتتحت به سورةالفاتحة والصلاة والخطب حيث يثني المخلوق على الخالق قدر الإمكان.

ويبدأ الداعي هنا يعدد بعض آلاء الله تعالى وفضله والإشارة هنا الى قوله تعالى: **﴿ادعوني أستجب لكم﴾** و **﴿إذا سألك عبادي عني فإني قريب أُجيب دعوة الداعي إذا دعان﴾**، وغيرها من النصوص القرآنية التي ترسم صورة واضحة تبين قرب رب الأرباب ومسبب الأسباب من عبده.

والدعاء والدعوة توجيه نظر المدعو نحو الداعي، والسؤال جلب الفائدة، فالسؤال بمنزلة الغاية من الدعاء وهو المعنى الجامع لجميع الموارد كالسؤال لرفع الجهل والسؤال بمعنى الحساب والسؤال بمعنى الإستدرار وغيره. والله سبحانه وتعالى دعا الى الدعاء ووعد بالإجابة[٢].

---

(١) بحار الأنوار / م ٣ / ص ٤٣.

(٢) الميزان في تفسير القرآن / ج ٢ / ص ٣١.

والداعي يحمد الله على دعائه لأكثر من سبب منها:

١ ـ في حالة إنجاز المطلب والمسألة التي طلبها الإنسان لدنياه أو لآخرته.

٢ ـ إقبال العبد وتوجهه الى ربه وإحساسه بمعنى العبودية، وكلما أقبل العبد أكثر كلما أحس بعبوديته أكثر.

٣ ـ نفس الإجابة من الله تعالى تعني إقبال من الله تعالى على عبده. وقد روي عن الامام الصادق عليه السلام أنه قال: «**لقد دعوت الله مرة فاستجاب ونسيت الحاجة لأن استجابته بإقباله على عبده عند دعوته أعظم وأجل مما يريد منه العبد ولو كانت الجنة ونعيمها الآبد ولكن لا يعقل ذلك الا العالمون المحبون العابدون العارفون صفوة الله وخاصته**»[1].

«والحمد لله الذي أسأله فيعطيني وإن كنت بخيلاً حين يستقرضني»

القرض إشارة الى قوله تعالى: ﴿إن تقرضوا الله قرضاً حسناً﴾ و ﴿من يقرض الله قرضاً حسناً﴾ والمراد بالقرض الإنفاق في سبيل الله تعالى سماه الله إقراضاً لله وسمي المال المقرض قرضاً حسناً حثاً وترغيباً فيه. قال الراغب وسمي ما يدفع الى الإنسان من المال بشرط رده أو بدله قرضاً وأصل القرض القطع وهو قطعه من ماله بإذنه على رد مثله.

يلقن الامام الداعي أن يحمد الله على نعمة اخرى ويقارن من خلالها بين بخله وعطاء رب العالمين غير المتناهي.

---

(١) الدعاء عند أهل البيت عليهم السلام للشيخ مهدي الآصفي.

﴿الحمد لله الذي أناديه كلما شئت لحاجتي وأخلو به حيث شئت لسري بغير شفيع فيقضي لي حاجتي﴾

النداء والمناداة الجهر بالدعوة خلاف المناجاة وقيل ان العناية بالتعبير بالدعاء أنه يتصور نفسه بعيداً منه تعالى لذنوبه وأحواله السيئة. والداعي يحمد الله على هذه النعمة حيث يستطيع أن يناديه بحاجته في أي وقت وفي أي مكان ويستطيع أن يخلو به ليبثّ اليه سره بغير واسطة ولا بواب ويقضي له حجته.

﴿الحمد لله الذي لا أدعو غيره ولو دعوت غيره لم يستجب لي دعائي والحمد لله الذي لا أرجو غيره ولو رجوت غيره لأخلف رجائي﴾

الإعتماد على المخلوقين في قضاء الحاجات لا توصل الى المطلب ورجاء غير الله تعالى نتيجته الخُلْف والخسارة وعلى هذا فالداعي يحمد الله تعالى على هذه النعمة حيث أنه جعل الدعاء له وحده وضمن الإجابة وجعلنا في رجاه وننتظر عطاءه.

﴿والحمد لله الذي وكلني اليه فأكرمني ولم يكلني الى الناس فيهينوني﴾

معنى الوكيل القائم على النفوس والأعمال حافظاً للمنافع متولياً للأُمور والوكيل هو الكافل للأمور الغير القائم مقامهم في تدبيرها وإدارة رحاها، والله سبحانه وتعالى توكل بالبشر وأكرهم بإدراة أعمالهم وحفظ منافعهم والقيام بأمورهم بينما على خلاف ذلك لو أن أمر الناس وكل للناس مثلاً كنزول المطر وهبوب الرياح وشروق الشمس ومختلف الألطاف الإلهية لتكبروا على الناس وطغوا ولأشعروا الآخرين

بالمن فضلاً عن إهمال المصالح العامة والقيام بها حسب الأهواء.

وشعور العبد بأن له رباً بتوكل عليه ويلطف بأمره يشعره بالقوة وهذا يذكرنا بمناجاة الامام علي عليه السلام «**كفاني عزاً أن أكون لك عبداً وكفاني فخراً أن تكون لي رباً**» حيث أن العبودية لله تعالى تكسب الإنسان عزاً على الرغم من أن معنى العبودية هو الذل لكن الذل لله يكسب الإنسان عزاً.

﴿والحمد لله الذي تحبب إليّ وهو غني عني﴾

تحبب الله تعالى للعباد بتوالي نعمه عليهم ابتداءً وهو الغني عنهم حيث يرزقهم ويستر عليهم ويهبهم من المواهب والنعم ما لا يحصيه أحد، ثم يعفو عنهم ويسددهم ويرزقهم التوفيق ويهديهم الصراط المستقيم حيث يغدق عليهم النعم ليحبوه وإن النعم في القلوب الواعية المدركة تحبب الله الى الذين ينعم عليهم.

﴿والحمد لله الذي يحلم عني حتى كأني لا ذنب لي﴾

وأصل الحلم: ضبط النفس عن هيجان الغضب ويطلق على غير الله تعالى كقوله جلّت عظمته: ﴿إن إبراهيم لأواه حليم﴾[1]. وإذا أُطلق على الله تعالى يراد عدم التعجيل في عقوبة العصاة لأنه لا يستخفه شيء من عصيان العباد ولا يستفزه الغضب عليهم لأنه يتأناهم تكرماً ولا يعجل لأنه لا يخاف الفوت.

﴿فربي أحمد شيء عندي وأحق بحمدي﴾

أحمد: إسم تفضيل من الحمد. وعلى هذا فالله تعالى له الحمد في كل الأحوال

---

(١) التوبة / ١١٤.

وعلى كل النعم التي أسبغها علينا. وبعد ذكر جانب من النعم المبسوطة يصل الداعي بحسه وشعوره الطاغي بالإمتنان الكبير للكريم المتعال.

﴿ اللهم إني أجد سبل المطالب اليك مشرعة ومناهل الرجاء لديك مترعة والإستعانة بفضلك لمن أملك مباحة وأبواب الدعاء اليك للصارخين مفتوحة ﴾

سبل: جمع سبيل وهو الطريق أو ما وضح من الطريق. المطالب: جمع مطلب: وهو المقصد.

مشرعة: مورد الشاربة. مناهل: موارد الشرب أو موضع الشرب. مترعة: مملوئة.

بعد أن ينتهي من الثناء على الله تعالى بمدح وثناء جميل يبدأ بنشر طلباته ويجد السبيل لذلك مبسوطاً ويحدوه التفاؤل وسهولة المورد حيث الدعاء من المناهل التي جعلها الله تعالى لعباده للورود عليه وقد بين تعالى في القرآن الكريم أربعة مناهل للورود عليه، فعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام: «**أربعة للمرء لا عليه: الإيمان والشكر فإن الله تعالى يقول:** ﴿ ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم ﴾[1] والإستغفار، فانه تعالى يقول: ﴿ فما كان ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله ليعذبهم وهم يستغفرون ﴾[2]. والدعاء، فإنه تعالى يقول: ﴿ قل ما يعبأ بكم ربي لو لا دعاءكم ﴾[3]».

﴿ وأعلم أنك للراحمين بموضع إجابة وللملهوفين بمرصد إغاثة وإن في اللهف الى جودك والرضا بقضائك عوضاً عن منع الباخلين ومندوحة عما في

(١) النساء / ١٤٧.

(٢) الأنفال / ٣٣.

(٣) الفرقان / ٧٧.

الملهوف : الحزين الذي ذهب له مال أو فجع بحميم وكذلك يعني المظلوم الذي ينادي ويستغيث ورجل ملهوف القلب : محترقه .

المرصد : المكان الذي يرصد فيه .

أغاثهُ : أعانه ونصره .

مندوحة : ندح الشيء : وسعه والمندوحة : السعة والقسمة ، ويقال : لك عن هذا الأمر مندوحة : أي يمكنك تركه والميل عنه .

المستأثرين : استأثر الشيء على الغير استبد به وخص به نفسه .

القضاء : قال الراغب في المفردات : القضاء فصل الأمر قولاً كان ذلك أو فعلاً وكل واحد منهما على وجهين إلهي وبشري فمن القول الإلهي قوله تعالى : ﴿ وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه ﴾ أي أمر بذلك ، وقال تعالى : ﴿ وقضينا الى بني إسرائيل في الكتاب ﴾ فهذا قضاء بالإعلام والفصل في الحكم أي أعلمناهم وأوحينا اليهم وحياً جزماً .

وقد سئل الإمام علي عليه السلام عن المتشابه أي المتماثل في القضاء ، فقال : « **هو عشرة أوجه مختلفة المعنى فمنه : (١) قضاء : فراغ (٢) قضاء عهد ومنه (٣) قضاء إعلام ومنه (٤) قضاء فعل ومنه (٥) قضاء إيجاب ومنه (٦) قضاء كتاب ومنه (٧) قضاء إتمام ومنه (٨) قضاء حكم وفصل ومنه (٩) قضاء خلق ومنه (١٠) قضاء نزول الموت .**

(١) أما تفسير القضاء الفراغ من الشيء فهو قوله تعالى : ﴿ وإذ صرفنا إليك نفراً من

الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا فلما قضى ولّوا الى قومهم ﴾[1] معنى ﴿ فلما قضى ﴾ أي فلما فرغ وكقوله: ﴿ فلما قضيتم مناسككم فاذكروا الله ﴾[2].

(٢) أما قضاء العهد فقوله تعالى: ﴿ وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه ﴾[3] أي عَهِدَ، ومثله في سورة القصص: ﴿ وما كنت بجانب الطور إذ قضينا الى موسى الأمر ﴾.

(٣) أما قضاء الإعلام: فهو قوله تعالى: ﴿ وقضينا اليه ذلك الأمر أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين ﴾[4] وقوله سبحانه: ﴿ وقضينا الى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين ﴾[5] أي: أعلمناهم في التوراة ما هم عاملون.

(٤) أما قضاء الفعل فقوله تعالى في سورة طه: ﴿ فاقض ما أنت قاض ﴾ أي إفعل ما أنت فاعل، ومنه في سورة الأنفال: ﴿ ليقضي الله أمراً كان مفعولاً ﴾ أي يفعل ما كان في علمه السابق، ومثل هذا في القرآن كثير.

(٥) أما قضاء الإيجاب للعذاب كقوله في سورة إبراهيم عليه السلام: ﴿ وقال الشيطان لما قضي الأمر ﴾ أي لما وجب العذاب، ومثله في سورة يوسف عليه السلام ﴿ قضي الأمر الذي فيه تستفتيان ﴾ معناه وجب الأمر الذي عنه تسألان.

(٦) أما قضاء الكتاب والحتم فقوله تعالى في قصة مريم: ﴿ وكان أمراً مقضياً ﴾ أي

---

(١) الأحقاف / ٢٩.
(٢) البقرة / ٢٠٠.
(٣) الإسراء / ٢٣.
(٤) الحجر / ٦٦.
(٥) الإسراء / ٤.

معلوماً.

(٧) أما قضاء الإتمام فقوله تعالى في سورة القصص: ﴿ فلما قضى موسى الأجل ﴾ أي فلما أتم شرطه الذي شارطه عليه وكقول موسى عليه السلام: ﴿ أيما الأجلين قضيت فلا عدوان عليَّ ﴾ معناه إذا أتممت.

(٨) أما قضاء الحكم فقوله تعالى: ﴿ قضي بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين ﴾[١] أي حكم بينهم، وقوله تعالى: ﴿ والله يقضي بينهم بالحق والذين يدعون من دونه لا يقضون بشيء إن الله هو السميع البصير ﴾[٢]، وقوله تعالى في سورة يونس: ﴿ وقضى بينهم بالقسط ﴾.

(٩) وأما قضاء الخلق فقوله تعالى: ﴿ فقضاهن سبع سموات في يومين ﴾[٣] أي خلقهن.

(١٠) وأما قضاء إنزال الموت فكقول أهل النار في سورة الزخرف: ﴿ ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك قال إنكم ماكثون ﴾ أي لينزل علينا الموت، ومثله ﴿ لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها ﴾[٤] أي لا ينزل عليهم الموت فيستدركوا، ومثله في قصة سليمان بن داود: ﴿ فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته إلا دابة

---

(١) الزمر / ٧٥.
(٢) غافر / ٢٠.
(٣) فصلت / ١٢.
(٤) فاطر / ٣٦.

الأرض تأكل منسأته ﴾[1] **يعني تعالى لما أنزلنا عليه الموت**»[2].

وقد ورد في أقوال المعصومين عليهم السلام أن الرضا بقضاء الله تعالى عوضاً عن منع الباخلين فعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: « **عجباً للمؤمن لا يقضي الله قضاءً إلا كان خيراً له سره أو ساءه إن ابتلاه كان كفارة لذنبه وإن أعطاه وأكرمه كان قد حباه** »[3].

وعن الصادق عليه السلام: « **مما ناجى الله تعالى به موسى عليه السلام: يا موسى ما خلقت خلقاً هو أحب إليَّ من عبدي المؤمن وإني لما ابتليته لما هو خير له وأنا أعلم ما يصلح عبدي وليصبر على بلائي وليشكر نعمائي وليرض بقضائي أكتبه في الصادقين عندي** »[4].

هذا عن الرضا بالقضاء، فعدم الرضا لا يرد القضاء، وفي هذا يقول أمير المؤمنين عليه السلام: « **أشد الناس عذاباً يوم القيامة المتسخط لقضاء الله تعالى** »[5].

﴿وإن الراحل اليك قريب المسافة وانك لا تحتجب عن خلقك الا أن تحجبهم الأعمال ـ الآمال ـ دونك﴾

لا يَحتجب الله تعالى عن عباده إلّا أن تحجبهم الذنوب والمعاصي عنه ويكون الحجب عن طريقين:

---

(١) سبأ / ١٤.
(٢) بحار الأنوار / ج ٩٣ / ص ١٨ ـ ٢٠.
(٣) بحار الانوار / ج ٧٧ / ص ١٥١.
(٤) بحار الانوار / ج ٨٢ / ص ١٣٠.
(٥) غرر الحكم.

١ ـ تمنعهم هذه الذنوب من الدعاء والذكر .

ففي الحديث الشريف : « **ان الله أوحى الى داود أن أدنى ما أنا صانع بعبد غير عامل بعلمه من سبعين عقوبة باطنية أن أنزع من قلبه حلاوة ذكري** »[1] ، وجاء رجل الى أمير المؤمنين عليه السلام فقال : « يا أمير المؤمنين إني قد حرمت الصلاة بالليل فقال عليه السلام : **أنت رجل قيدتك ذنوبك** »[2] .

وعن الامام الصادق عليه السلام قال : « **إن الرجل يذنب الذنب فيحرم صلاة الليل وأن العمل السيء أسرع في صاحبه من السكين في اللحم** »[3] .

بل حتى الخشوع في الصلاة والإقبال على الأعمال التي فيها رضا الله تعالى والإخلاص لله قد يحرم العبد منه لذنب اقترفه ، وهذا هو الأثر الوضعي للذنوب ومعنى الأثر الوضعي أي العلة والمعلول أو الأثر والمؤثر أو السبب والمسبب . فمثلاً اليأس عن روح الله ـ العياذ بالله ـ يوصل صاحبه الى الجرأة على جميع الذنوب وقد يصيب الإنسان بالقلق والكآبة .

٢ ـ هناك ذنوب تحبس الدعاء أي أن العبد الذي ارتكب تلك الذنوب حتى لو يتوجه الى الدعاء ويدعو دعائه لا يستجاب وقد ورد في دعاء كميل (عليه الرحمة): « **اللهم اغفر لي الذنوب التي تحبس الدعاء** » ، وقد جاء على لسان الامام زين العابدين عليه السلام إيراد تلك الذنوب « **والذنوب التي ترد الدعاء : سوء النية وخبث السريرة**

---

(١) دار السلام للشيخ النوري / ج ٣ / ص ٢٠٠ .

(٢) علل الشرائع / ج ٢ / ص ٥١ .

(٣) اصول الكافي / ج ٢ / ص ٢٧٢ .

والنفاق وترك التصديق بالإجابة وتأخير الصلوات المفروضات حتى تذهب أوقاتها وترك التقرب الى الله عز وجل بالبر والصدقة واستعمال البذاء والفحش في القول »[1].

ومن الذنوب الأخرى التي تمنع الإجابة هي الظلم، فعن الإمام الصادق عليه السلام قال: **« إذا ظُلم الرجل فظل يدعو على صاحبه قال الله جل جلاله: إن هٰهنا آخر يدعو عليك يزعم أنك ظلمته فإن شئت أجبتك وأجبت عليك وإن شئت أخرتكما فتوسعكما عفوي »**[2]، وكذلك الإعتصام بمخلوق دون الله، فعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: **« قال الله عز وجل ما من مخلوق يعتصم بمخلوق دوني إلا قطعت أسباب السماوات وأسباب الأرض من دونه فإن سألني لم أعطه وإن دعاني لم أُجبه »**[3] كما أن هناك مهن عندما يمارسها العبد تحرم من استجابة الدعاء كالشاعر الذي يكتب أو يقول القصائد الماجنة (قطعاً الشعراء الذين يكتبون لنصرة آل البيت يختلفون) والموسيقى، فعن الامام أمير المؤمنين عليه السلام قال: **« ان نبي الله خرج ذات ليلة فنظر في السماء فقال إنها الساعة التي لا يرد فيها دعوة الا دعوة عرّيف أو دعوة شاعر أو شرطي أو صاحب عرطبة أو صاحب كوبة »**[4] والعرطبة والكوبة آلات موسيقية، فالكوبة هو الطبل الصغير المخصَّر والعرطبة العود التي تحتوي على أوتار فيضرب على الأوتار لتحدث صوتاً. والشرطة هم أعوان الولاة الظلمة. أما العريف فهو الذي يترأس عشرة رجال أو أكثر

---

(١) معاني الأخبار / ص ٢٧١.

(٢) بحار الانوار / ج ٩٣ / ص ٣٢٤.

(٣) بحار الانوار / ج ٩٣ / ص ٣٠٤.

(٤) بحار الانوار / ج ١٩ / ص ٢٥٢.

وربما يدخله عمله في الظلم وأكل المال الحرام.

كما أن هناك ذنوباً لا يكون أثرها على مرتكبها فقط وإنما يكون وبالها وتأثيرها عاماً على المجتمع مثل عدم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فعن رسول الله ﷺ قال: «**لتأمرن بالمعروف ولتنهن عن المنكر أو ليسلطن الله شراركم على خياركم فيدعو خياركم فلا يستجاب لهم**»[1].

وجاء في بعض نسخ الدعاء كلمة (الآمال) بدل الأعمال، والآمال هنا بمعنى الحرص على الدنيا وطول الأمل فيها، حيث أن لطول الأمل نتائج وخيمة منها:

١ ـ التقصير في الأعمال كما ورد عن الامام علي عليه السلام: «**من اتسع أمله قصر عمله**»[2] وذلك لأن طول الأمل سيسوف العمل للآخرة لاعتقاده بأن أمامه المزيد من الوقت ولم يحن وقت العمل كالتوبة والعمل الصالح.

٢ ـ الإساءة في العمل كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**ما أطال عبد الأمل إلا أساء العمل**»[3].

٣ ـ وكنتيجة للإساءة في العمل تكون قوة القلوب، فقسوة القلب تأتي من كثرة الذنوب ولطول الأمل تسوف التوبة فيقسو القلب حيث جاء في مناجاة الله تعالى لموسى عليه السلام: «**يا موسى لا تطل في الدنيا أملك فيقسو قلبك والقاسي القلب مني**

---

(١) بحار الانوار / ج ٩٣ / ص ٣٧٨.
(٢) بحار الانوار / ج ١١ / ص ٤٢١.
(٣) غرر الحكم.

بعيد »[١] وعن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال : « **من يأمل أن يعيش غداً فإنه يأمل أن يعيش أبداً ومن يأمل أن يعيش أبداً يقسو قلبه ويرغب في الدنيا »**[٢].

٤ ـ نسيان الموت والآخرة كما قال أمير المؤمنين عليه السلام : « **أما طول الأمل فينسي الآخرة »**[٣] وكذلك قال : « **أكثر الناس أملاً أقلهم للموت ذكراً »**[٤].

من خلال ما سبق نرى أن الآمال تكون حاجباً بين الله والعبد بسبب الغفلة وتسويف التوبة وعدم التفكير بالموت ، وهناك روايات أُخرى تمدح الأمل ، والأمل هنا بمعنى التفاؤل الذي يبني الحياة ويطرد اليأس والعجز والكسل والشعور بالفشل والإحباط الذي يشل الحياة ويوقفها كقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « **الأمل رحمة لأُمتي ولولا الأمل ما رضعت والدة ولدها ولا غرس غارس شجراً »**[٥].

﴿وقد قصدت اليك بطلبتي وتوجهت الي بحاجتي وجعلت بك استغاثتي وبدعائك توسلي﴾

الإستغاثة : طلب الغوث والمساعدة .

التوسل : التقرب اليه بعمل .

ويقدم الداعي حاجته ويتوجه الى الله تعالى يطلب منه غوثه ووسيلته في ذلك

---

(١) بحار الانوار / ج ٧٣ / ص ٣٩٨.
(٢) مستدرك الوسائل / ج ١ / ص ٨٨.
(٣) بحار الانوار / ج ٧٠ / ص ٨٨.
(٤) غرر الحكم .
(٥) بحار الانوار / ج ٧٧ / ص ١٧٣.

الدعاء.

﴿من غير استحقاق لاستماعك مني ولا استيجاب لعفوك عني بل لثقتي بكرمك وسكوني الى صدق وعدك ولجأي الى الإيمان بتوحيدك ويقيني -ثقتي- بمعرفتك مني أن لا رب لي غيرك ولا إله لي الا أنت وحدك لا شريك لك﴾

استحق: استوجب، استأهل.

استماع: اصغاء.

سكون: ارتياح. اللجأ: اللوذ، الإعتصام.

اليقين: التحقق. ازاحة الشك وتحقيق الأمر.

والمعنى: تقدمت اليك يا إلهي بحاجتي من غير استحقاق مني لإصغائك لي ولا استحقاق لعفوك عني لكن لاعتمادي وارتياحي الى صدق وعدك والإشارة هنا لوعد الله تعالى في قوله تعالى: ﴿ واسألوا الله من فضله ﴾ و ﴿ أُدعوني استجب لكم ﴾ وغيره.

وكذلك اعتصامي ولوذي الى الايمان بتوحيدك ويقيني أنك يا رب تعلم أنني أؤمن أن لا رب لي سواك. وكرم رب العالمين غني عن البيان سواء كان كرمه ابتداءً أو بعد المسألة وسواء كان كرمه في الدنيا أو في الآخرة. وفي هذا السياق نورد قصة مرت بالمقدس الأردبيلي قُدِّسَ سِرُّهُ حيث أنه لما كان طالباً اشتاقت أُمه لرؤيته فأرسلت له أن يأتيها لتراه فلم يسعه الا المثول، وفي الطريق مر بمدينة استقبله أهلها وسمع المقدس أن عمدة المدينة رجل فاسق مرتكب المحرمات شارب الخمور واسمه كريم، وفي تلك الليلة رأى المقدس في عالم الرؤيا أنه يأمر بتغسيل وتجهيز العمدة،

فحسبها في البدء من أضغاث الأحلام فاستيقظ وتوضأ ونام فإذا نفس الرؤيا تكررت وثالثة، وفي السحر نادى المنادي بموت العمدة فتيقن المقدس الأردبيلي أن الرؤيا حق، وفي الصباح ذهب لتجهيز الميت فلم يصدق القرويون أن المقدس بنفسه سيقوم بذلك فقال لهم دعونا نسأل زوجته عن أخر يوم في حياته، فقالت المرأة نعم كان فاسقاً شارباً للخمور حتى في يوم موته حيث رجع سكراناً الى البيت وأمرني أن أفرش له بساحة الدار لأنه يشعر أنه ليس على ما يرام ولما استلقى على ظهره تطلع الى السماء والنجوم وقال: «يا رب إن تغفر للمقدس الأردبيلي فليس بكرم لأنه ليس لديه ذنوب لكن أن تغفر لكريم فهو الكرم»، فقال المقدس الأردبيلي إن الله غفر له بكرمه.

ونعود للدعاء حيث أن الداعي قدم ـ بالإضافة الى ثقته لكرم رب العالمين ـ إقراره بالربوبية لله تعالى، وعن المفضل الجعفي قال: «قال أبو عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام: **إن الله تعالى ضمن للمؤمن ضماناً، قلت: ما هو؟ قال ضمن له إن أقر لله بالربوبية ولمحمد صلى الله عليه وآله بالنبوة ولعلي عليه السلام بالإمامة وأدى ما افترض عليه أن يسكنه في جواره**، فقلت: هذه والله الكرامة التي لا تشبهها كرامة الآدميين، قال أبو عبد الله عليه السلام: **اعملوا قليلاً تنعموا كثيراً**»(١).

«اللهم أنت القائل وقولك حق ووعدك صدق (واسألوا الله من فضله إن الله كان بكم رحيماً) وليس من صفاتك يا سيدي أن تأمر بالسؤال وتمنع

---

(١) آمالي الشيخ الطوسي / ص ٩٨.

العطية وأنت المنان بالعطيات على أهل مملكتك والعائد عليهم بتحنن رأفتك - بحسن نعمتك - ﴾

المنان: من أسماء الله تعالى الحسنى يعنى كثير المن والإحسان.

العائد: من عاود، أي: جعل من عادته.

التحنن: حنَّ: عطف وشفق وترحم. الرأفة: شدة الرحمة.

يطلب الداعي من ربه إنجاز الوعد وهو فيض الرحمة الإلهية على عباده والتفضل عليهم بنعمه وينزهه من إخلاف الوعد وخيبة عبده به ولاسيما وهو كثير المن والإحسان على خلقه.

﴿الهي ربيتني في نعمك وإحسانك صغيراً ونوهت باسمي كبيراً فيا من رباني في الدنيا بإحسانه وتفضله ونعمه وأشار لي في الآخرة الى عفوه وكرمه ﴾

ربيتني: ربَّ القوم: ساسهم وكان فوقهم، ورب الشيء: مَلَكه. الرب من أسماء الله الحسنى وتربَّ الصبي: رباه حتى أدرك.

نوهت: نوه: ارتفع ونوه بالشيء: رفع ذكره ومدحه وعظَّمه ويقال: نوهت بالحديث، أي أشدت به وأظهرته، وهوه باسمه: دعاه.

أشار: أومأ.

والمعنى: إلهي تعهدتني بنعمك وعنايتك صغيراً ورفعت اسمي كبيراً فيا من رباني وتعهدني بإحسانه ونعمه وتفضله ونصحنى ودلني وعرفني في الآخرة الى عفوه وكرمه.

﴿معرفتي يا مولاي دليل عليك وحبي لك شفيعي اليك وأنا واثق من دليلي بدلالتك وساكن من شفيعي الى شفاعتك﴾

يعرف الشيخ البهائي تَتِرُّ المعرفة بأنها الإدراك الأخير للشيء الواحد إذا تخلل بين الإدراكين عدم بأن أدركه أولاً ثم ذهل عنه ثم أدركه ثانياً فالإدراك الثاني يسمى معرفة ومن هاهنا سمي أهل الحقيقة بأصحاب العرفان لأن خلق الأرواح قبل خلق الأبدان وهي مطلعة (أي الأرواح) على بعض الإشراقات الشهودية مقرة لمبدعها بالربوبية، قال سبحانه: ﴿ألست بربكم؟ قالوا بلى﴾ لكنها لألفها الأبدان الظلمانية وانغمارها في الغواشي الهيولانية (الغاشية: الظلمة، والهيولانية: الأبعاد المادية للإجسام) ذهلت عن مولاها ومبدعها فإذا تخلصت بالرياضة من أسرار الغور وشرقت بالمجاهدة عن الإلتفات الى عالم الزور تجدد عهدها القديم الذي كاد أن يندرس بتمادي الأعصار والدهور وحصل لها الإدراك ثانية وهي المعرفة التي هي نور على نور[1].

معرفة الإنسان لربه تنبع من داخله حتى لو يترك من غير تعليم وإرشاد حيث يتجه نحو قوة قادرة قاهرة ترتفع فوق المادة وتحكم الكون بأسره ويجد نفسه تنجذب لتلك القوة كما تجذب قطعة المغناطيس المعدن.

إن نداء الفطرة نحو الحق المتعالي دائماً موجود لدى الإنسان وهذا النداء قد يحجب بانجراف الإنسان نحو التيار المادي والميل نحو الشهوات وبهارج الدنيا لكن

---

(١) سفينة البحار / ج ٦.

سرعان ما يظهر هذا النداء جلياً واضحاً عند مواجهة الأهوال والكربات حيث يجد هذا الإنسان نفسه معلقاً لا مسند يستند عليه فيتجه الى حقيقة الحقائق.

أما الحب لله تعالى ـ الذي يقدمه الداعي شفيعاً له ـ فقد يستنزل بالحب من رحمة الله ما لا يستنزله لأمر آمر، حيث أن أقرب العباد لله تعالى الذين اضطرمت نار الشوق في قلوبهم لربهم وقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام قوله: «**الحب أفضل من الخوف**» لأن العبادة التي يكون دافعها الخوف هي عبادة العبيد والعبادة التي دافعها الحب هي عبادة الأحرار كما ورد على لسان الإمام علي عليه السلام والأخيرة لا ينالها الا ذو حظ عظيم.

﴿أدعوك يا سيدي بلسان قد أخرسه ذنبه رب اناجيك بقلب قد أوبقه جرمه أدعوك يا رب راهباً راغباً راجياً خائفاً إذا رأيت يا مولاي ذنوبي فزعت وإذا رأيت كرمك طمعت فإن عفوت ـ غفرت ـ فخير راحم وان عذبت فغير ظالم﴾

اناجيك: ناجى مناجاة ونجاءً الرجل: سارّه بما في فؤاده من الأسرار والعواطف.

أوبقه: أهلكه. ذلله.

راهباً: فزعاً، خائفاً.

الامام يلهم الداعي بأن يدعو قائلاً أدعوك يا سيدي ... أدعوك يا رب فسبق كلمة سيدي ورب حرف النداء يا وهي كما يذكر اللغويون للمنادى البعيد والسبب أن الداعي يحس بأن ذنوبه أبعدته عن الله تعالى لكن عندما يقول رب اناجيك لم يستخدم حرف النداء لأن المناجاة قلبية أي للقريب وهو يحس أن ربه أقرب اليه من حبل الوريد فلا يحتاج الى أداة نداء.

نعترف من خلال هذه القطعة من الدعاء بذنوبنا التي تخرس لساننا حيث يكون المذنب متلجلجاً يخونه لسانه عن التعبير للخوف والحياء والشعور بالذنب ويناجي ربه بقلب ذليل ذللته الذنوب والخطايا ويصف حالته النفسية في توجهه لخالقه بالرهبة والخوف والرجاء إذ أن سبب الخوف والرهبة أن يخاف من عقاب الله، وسبب الرغبة الرجاء طمعاً بكرم أكرم الأكرمين الذي إن عفا عنه فبكرمه وإن عذبه فبعدله.

والداعي يتجه لله تعالى ويتجاذبه تياران نفسيان هو الرجاء والخوف وفي قلب المؤمن الرجاء والخوف متساويان حيث يجعله الرجاء يأمل رحمة الله تعالى ولا ييأس من رَوحه والخوف يجعله لا يأمن من مكر الله وينسى ذنوبه ومن وصايا لقمان الحكيم عليه السلام لابنه: «خف الله عز وجل خيفةً لو جئته ببر الثقلين لعذبك وارج الله رجاءً لو جئته بذنوب الثقلين لرحمك»[1].

﴿حجتي يا الله في جرأتي على مسألتك مع إتياني ما تكره جودك وكرمك وعدتي في شدتي مع قلة حيائي رأفتك ورحمتك وقد رجوت أن لا تخيب بين ذين وذين منيتي فحقق رجائي واسمع دعائي يا خير من دعاه داع وأفضل من رجاه راج﴾

الامام زين العابدين عليه السلام يلهم الداعي من أمثالنا أن يقدم حجته للمولى القدير على مسألته مع إتيانه ما يكره من المعاصي والحجة جود الله وكرمه وعدته في شدته مع قلة حيائه رأفة الله ورحمته التي وسعت البر والفاجر وهو يرجو

---

(١) بحار الانوار.

أن لا يخيب في حجته ولا في عدته التي هي الرحمة والرأفة ثم يصف رب العالمين بأرق الصفات التي يهتز لها الكريم.

﴿عظم ياسيدي أملي وساء عملي فاعطني من عفوك بمقدار أملي ولا تؤاخذني بأسوء عملي فان كرمك يجل عن مجازاة المذنبين وحلمك يكبر من مكافاة المقصرين وأنا يا سيدي عائذ بفضلك هارب منك اليك متنجز ما وعدت من الصفح عمن أحسن بك ظناً وما أنا يا رب وما خطري هبني بفضلك وتصدق عليّ بعفوك أي رب جللني بسترك واعف عن توبيخي بكرم وجهك﴾

الإمام يدعو العبد أن يقابل ربه باعتراف بذنوبه في مقارنة بين أمله وعمله ويسمى هذا الفن من البلاغة بالجناس وهو المقابلة بين كلمتين تتشابهان في اللفظ وتختلفان في المعنى.

حيث يقارن بين أمله العظيم وإساءته في العمل فإذا كان عفو الله بمقدار أمله فهو الفوز ويستعطفه بكرمه الذي يجل عن مجازاة المذنبين ويطالبه بحلمه الذي يكبر عن مكافأة المقصرين ويعوذ بفضل الله تعالى ويطالبه بإنجاز وعده بالصفح لأنه أحسن الظن بالله ولأنه عديم الخطر.

﴿فلو اطلع اليوم على ذنبي غيرك ما فعلته ولو خفت تعجيل العقوبة لاجتنبته لا لأنك أهون الناظرين إليّ وأخف المطلعين عليّ بل لأنك يا رب خير الساترين وأحكم الحاكمين وأحلم الأحلمين وأكرم الأكرمين ستار العيوب غفار الذنوب علام الغيوب تستر الذنب بكرمك وتأخر العقوبة بحلمك فلك الحمد على حلمك بعد علمك وعلى عفوك بعد قدرتك﴾

ستر الشيء: غطاه وسِتْر: ما يستر به.

أهون: هون وهوناً ومهانة الرجل: أقل وذل وحقر.

الكريم: الكثير الخير ونخلة كريمة يقال لها إذا طاب حملها أو كثر وقوله تعالى: ﴿ إنه لقرآن كريم ﴾ أي كثير الخير دال على أنه من عند الله تعالى والعرب تسمي الذي يدوم نفعه ويسهل تناوله كريماً ومن كرمه تعالى أنه يبتدىء بالنعمة من غير استحقاق ويغفر الذنوب ويعفو عن المسيء وقيل الكريم الجاد المفضل وقيل الكريم العزيز وقيل: الكريم المعبود وفي الصحاح أنه الصفوح[1].

الحليم: ذو الحلم أي الصفح الذي يشاهد معصية العصاة ثم لا يسارع الى الإنتقام مع غاية قدرته ولا يستحق الصافح صفة الحليم مع العجز لأن الحلم إنما هو الصفح مع القدرة.

الحكمة: معرفة الأشياء وإيجادها بالإحكام والإتقان الواقعي وهي منبعثة عن العلم بالحقائق، هذا إذا كان الحكمة من الله[2]، وقيل معنى الحكيم المانع من الجهل وحكمة الدابة ما أحاط بحنكها وسميت بذلك لمنعها من الجماح وحكمت السفيه وأحكمته إذا أخذت على يده ومنعته من ماله[3].

غفّار: غفر الشيء: ستره، وغفر الشيب بالخضاب غطاه وغفّار صيغة مبالغة من غافر أي ستار.

علّام: صيغة مبالغة من عالم: علم الرجل حصلت له حقيقة العلوم وعلم بالشيء:

---

(١) مصباح الكفعمي / ج ١ / ص ٣٧٣.

(٢) تفسير مواهب الرحمن / ج ١ / ص ١٧٨.

(٣) مصباح الكفعمي / ج ١ / ص ٣٧٣.

عرفه و تيقنه. وعلم الأمر: أتقنه. ز العلّام: العالم جداً.

العيوب: جمع عيب وهي النقيصة.

في حديث عن الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم: «**لو تكاشفتم لما تدافنتم**» أي لو عرف بعضكم ذنوب بعض لما ترحمتم بينكم الى حد عدم التدافن بعد الموت، والإنسان يحذر أن يعلم أحد بجرمه ومعاصيه لذا فهو يتخفى من الناس في حال المعصية خوف العار والإستنقاص من الآخرين لكنه هنا يورد عذراً لفعله المعصية أمام الله تعالى وتخفيه عن الناس وذلك لأن رب العالمين خير الساترين ولا يخاف تعجيل العقوبة من الله تعالى لأنه أحلم الأحلمين وأكرم الأكرمين ستار العيوب غفار الذنوب.

ولله الحمد على حلمه بعد علمه وعلى عفوه بعد قدرته وإنماالحلم بعد العلم بالمعاصي والجرائم والعفو بعد القدرة والإمكان على العقاب.

﴿ويحملني ويجرأني على معصيتك حلمك عني ويدعوني الى قلة الحياء سترك عليّ ويسرعني الى التوثب على محارمك معرفتي بسعة حلمك وعظيم عفوك﴾

الحياء: الحشمة. وهو انقباض النفس من الشيء وتركه خوفاً من اللوم. وللحياء أهمية كبيرة في إقرار الفضائل في المجتمعات حيث يقول الإمام الصادق عليه السلام في توحيد المفضل: «**لولاه لم يُقر ضيف ولم يوف بالعداة ولم تقض الحوائج ولم يتحر الجميل ولم يتنكب القبيح في شيء من الأشياء حتى أن كثيراً من الأمور المفترضة أيضاً إنما تفعل للحياء فانّ من الناس لولا الحياء لم يرع حق والديه ولم يصل ذا رحم ولم يؤد أمانة ولم يعف عن فاحشة**».

أي أن للحياء الفضل في مكارم الأخلاق بل هو رأس المكارم كما ورد في حديث لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « **أما الحياء فيتشعب منه اللين والرأفة والمراقبة لله في السر والعلن والسلامة واجتناب الشر والبشاشة والسماحة والظفر وحسن الثناء على المرء في الناس فهذا ما أصاب العاقل بالحياء فطوبى لمن قبل نصيحة الله وخاف فضيحته** » .

ولانعدام الحياء آثار هي فقدان التقوى وفقدان العفة وهذا بالتالي يقود الى الفوضى الإجتماعية.

وفي هذا المقطع من الدعاء يلهم الامام الداعي أن يعترف بجرأته وقلة حيائه ويبادر في نفس الوقت بالثناء على الله تعالى لحلمه وستره وعظيم عفوه وللإعتراف أهمية كبيرة في ترويض النفس وتهذيبها، ويبدأ ترويض النفس بمحاسبتها وإدانتها لأن طاعة الهوى تقود العبد نحو المعاصي والمخازي ثم الى النار. وهو نهج في الإعتذار للخالق الكريم.

﴿يا حليم يا كريم يا حي يا قيوم يا غافر الذنب يا قابل التوب يا عظيم المن يا قديم الإحسان أين سترك الجميل أين عفوك الجليل أين فرجك القريب أين غياثك السريع أين رحمتك الواسعة أين عطاياك الفاضلة أين مواهبك الهنيئة أين صنائعك السّنية أين فضلك العظيم أين منك الجسيم أين إحسانك القديم أين كرمك يا كريم به وبمحمد وآل محمد فاستنقذني وبرحمتك فخلصني﴾

الحي: هو الذي لم يزل موجوداً وبالحياة موصوفاً لم يحدث له الموت بعد الحياة

أو العكس[1].

القيوم: هو القائم الدائم بلا زوال بذاته وبه قيام كل موجود في إيجاده وتدبيره وحفظه ﴿ أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت ﴾ أي يقوم بأرزاقهم وآجالهم وأعمالهم وقيل هو القيم على كل شيء بالدعاية له ومثله القيام وهما من يعول ـ فيعال من قمت الشيء إذا توليته بنفسك وأصلحته ودبرته وقيل هو العالم بالأمور من قولهم هو يقوم بهذا الأمر أي يعلم ما فيه[2].

المن: كل ما ينعم به.

المواهب: العطايا التي بلا عوض.

الصنائع: جمع صنيعة وهي الإحسان.

السنية: ذات سناء ورفعة وسهولة ويسر.

الجسيم: العظيم، الضخم.

يتوسل الداعي الى الله تعالى بأرق الصفات وأجمل وأعظم الأسماء التي تعطي الأمل والمغفرة والرحمة للداعي ولا عجب فالأسماء الحسنى مفاتيح لرحمة الله تعالى وسر من أسراره وهو يحب أن يدعى بأسمائه الحسنى وآلائه العظمى. والامام يلقن الداعي أن يستنهض مكنون رحمة الله وحلمه وعفوه وعطائه وإحسانه ويستغيث طالباً من الله جل وعلا إنجاز الوعد والعفو عنه. ولما كان ينادي ربه بها وهي صفات مطلقة للباري فإنه ينفي عن الله كل نقص وعيب ويحاول أن يستمد من

---

(١) مصباح الكفعمي / ج ١ / ص ٣٨.
(٢) المصدر السابق.

هذه الصفات خصائصها التي تحملها كل صفة وفـي نـفس الوقت يشـعر بأن هـذه الأسماء والصفات تفيض على الوجود بالفيض الإلهي حيث أن هذه الصفات ترتبط بذاته تعالى التي بدورها ترتبط بخصوصيات الأشياء حيث ترفع ضـعفنا وعـجزنا وفقرنا وكل نقص فينا فالفقير يتجه بالدعاء لله بأسماءه تعالى التي يستمد منها الغنى بفقره مثل يا مالك الملك، المغنى، الغني الرزاق وغيرها ليجبر فقره ويغنيه والذليل يناجي الله تعالى بأسماءه التي يستمد منها العجز مثل يا معز يا عزيز ليستمد من عزه المطلق عزاً لذله والذي يحس بجهله يحاول أن يمحي جلهه بعلم الله فيناجي ويدعو الله تعالى بالأسماء والصفات التي تحمل معنى العلم وهكذا فالداعـي هـنا يـحس بذنوبه العظيمة وآثامه الكثيرة فيلهج لسانه بأسماء الله تعالى التي تحمل معنى الحلم والستر والمغفرة والعفو والرحمة والعطاء والفضل وغيرها من الصفات التي يحس بها تجبر كسره وترفع عيبه، ثم ينادي ويستغيث بهذه الصفات بشكل أسئلة مثلاً أيـن سترك الجميل أين عفوك الجليل وهكذا وكأنما يريد أن يستنهض هذه الصفات لتظهر وتغمره.

وبعد ذلك يستعين (بالإضافة الى هذه الصفات) بـرسول الله ﷺ وآل بـيته الطيبين الطاهرين ومسألة الاستعانة بأولياء الله الصالحين بعد وفاتهم وغيابهم عـن هذه الحياة المادية هي مهمة جداً وتثير الكثير من الجدل وأهمية هذه المسألة تكمن في أن المسلمين ليسوا في محضر نبي أو إمام كي يستعينوا به بصورة مباشرة ولذا فهم يستعينون بأرواحهم المقدسة أما بصورة الدعاء أو طلب معجزة وتتوقف هذه المسألة على أربعة أُمور:

١ ـ موت الإنسان لا يعني فناءه.

٢ ـ القرآن الكريم وجواز الإتصال بعالم الأرواح.

٣ ـ حقيقة الإنسان هي روحه.

٤ ـ الأحاديث الصحيحة التي رواها المحدثون وهي تنادي بصحة الإستغاثة بأولياء الله الصالحين وأن سيرة المسلمين كانت تجري على هذه الشاكلة.

بالنسبة للمسألة الأولى فمن المعلوم أن موت الإنسان ما هو الا انتقال روحه من عالم الى عالم هو اسمى من عالم المادة والطبيعة، أما المسألة الأخرى فإن القرآن الكريم حوى على آيات كثيرة تبين هذه المسألة (أي مسألة خلود الروح) مثلاً قال الله تعالى في سورة البقرة: ﴿ ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لا تشعرون ﴾.

وكذلك قال تعالى في سورة آل عمران: ﴿ ولا تحسبنَّ الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم ﴾.

كما أن عدداً من أنبياء الله: قد تحدثوا مع قومهم بعد موتهم كالنبي صالح عليه السلام حيث قال لهم: ﴿ فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين. فتولى عنهم وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين ﴾[١].

وكذلك تحدث النبي شعيب عليه السلام الى أرواح قومه القدامى ﴿ الذين كذبوا شعيباً

---

(١) الاعراف / ٧٨ ـ ٧٩.

كانوا هم الخاسرين ﴾[1].

ثم قال الله تعالى: ﴿ فتولى عنهم وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم فكيف آسى على قوم كافرين ﴾[2].

وكذلك تحدث رسول الله ﷺ الى أرواح الكفار بعد وقعة بدر.

والمسلمون يحيون النبي محمد ﷺ في صلاتهم اليومية قائلين: «**السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته**»، وإذا كانت هذه التحيات لا توصل لروح النبي ﷺ تصبح تحيات جوفاء لا معنى لها والحقيقة أن الرسول ﷺ تبلغه هذه التحيات ويرد عليها طبقاً للأدب القرآني ﴿ وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها ﴾[3].

وسيرة المسلمين بعد رسول الله ﷺ تبين أنهم كانوا يتوسلون بالنبي ﷺ حياً وميتاً، فبعد موته بثلاثة أيام جاء أعرابي لقبره فرمى بنفسه على قبر النبي ﷺ ووضع من ترابه على رأسه وقال: «يا رسول الله قلت فسمعنا قولك ووعيت عن الله سبحانه ما وعينا عنك وكان فيما أنزل عليك: ﴿ ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً ﴾ وقد ظلمت نفسي وجئتك تستغفر لي»[4].

---

(١) الاعراف / ٩١.

(٢) الاعراف / ٩٣.

(٣) النساء / ٨٦.

(٤) وفا الوفا بأخبار دار المصطفى. للسمهودي / م ٢ / ص ١٣٦١، عن كتاب التوسل لجعفر سبحاني.

وفي خبر آخر عن ابن المنكدر قال: «أودع رجل أبي ثمانين ديناراً وخرج للجهاد وقال لأبي: إن احتجت أنفقها الى أن أعود، وأصاب الناس جهد من الغلاء فأنفق أبي الدنانير، فقدم الرجل وطلب ماله فقال له أبي: عد إلي غداً، وبات في المسجد يلوذ بقبر النبي ﷺ مرة وبمنبره مرة حتى كاد أن يصبح يستغيث بقبر النبي، فبينما هو كذلك وإذا بشخص ـ في الظلام ـ يقول: دونكها يا أبا محمد، فمد أبي يده فإذا هو بصرة فيها ثمانون ديناراً. فلما أصبح جاء الرجل فدفعها إليه»[1].

وشبه هذه الأخبار كثيرة جداً.

﴿ يا محسن يا مجمل يا منعم يا مفضل لست أتكل في النجاة من عقابك على أعمالنا بل بفضلك علينا لأنك أهل التقوى والمغفرة ﴾

مجمل: كثير الإحسان والمعروف.

منعم: كثير النعم.

مفضل: كثير الفضل.

تحدث الداعي في الدعاء في هذه القطعة في البدء بصيغة المفرد (لست أتكل)، ثم ينتقل الى صيغة الجمع وقد يكون السبب في ذلك أنه لا يتكل الناس بصورة عامة على أعمالهم بل بفضل الله عليهم وقد يكون أنه لا يتكل بنجاة نفسه حتى لو كانت له أعمال الناس كلهم إلا بفضل الله عليهم وبعد ذلك هو أهل للتقوى لبيان التقصير ولشدة عقوبة الله تعالى وغضبه وأهل للمغفرة لسعة رحمته ولبيان كرمه.

---

(١) المصدر السابق / م ٢ / ١٣٨٠.

﴿ تبدي بالإحسان نعماً وتعفو عن الذنب كرماً فما ندري ما نشكر أجميل ما تنشر أم قبيح ما تستر أم عظيم ما أبليت وأوليت أم كثير ما منه نجّيت وعافيت ﴾

أبليت : أبلى الله عباده : إختبرهم بصنع الجميل.

أوليت : ولى معروفاً : صنعه إليه.

يغمرنا رب العالمين بنعمه وإحسانه منذ لحظة خلقنا وتستقر الأنعام والألطاف الإلهية دون انقطاع وكم من نعم يعجز لساننا عن ذكرها فضلاً عن شكرها فالذكر الجميل بين الناس وستره قبائحنا وعظيم ما أولانا والرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم يقول: « **لو تكاشفتم لما تدافنتم** » أي قبائحنا ومعاصينا لو تنشر بين الناس لتُركنا بعد موتنا من غير دفن لاحتقار الناس لأفعالنا وكثير لا يحصى من البلاءات والمهالك قد أنجانا رب العباد منها ورزقنا العافية التي إن فقدناها لحظة عز علينا العيش الهني لذا فالذي يشكر الله تعالى يقف عاجزاً أي نعمة يشكر.

﴿ يا حبيب من تحبب إليك ويا قرة عين من لاذ بك وانقطع اليك أنت المحسن ونحن المسيئون فتجاوز يا رب عن قبيح ما عندنا بجميل ما عندك ﴾

قرت عينه : بردت سروراً توجف دمعها أو رأت ما كانت متشوقة اليه.

العبد الذي يتحبب الى الله يحبه الله ويقبل عليه ويتحفه بنعم لا تقدر فقد ورد عن الامام الصادق عليه السلام : « **إذا أحب الله عبداً ألهمه الطاعة وألزمه القناعة وفقهه في الدين**

وقواه باليقين فاكتفى بالكفاف واكتسى بالعفاف »[1]، وعن الامام علي عليه السلام أيضاً أنه قال: « **إذا أحب الله عبداً ألهمه حسن العبادة** »[2]، وعنه عليه السلام أيضاً أنه قال: « **إذا أحب الله عبداً حبب اليه الأمانة** »[3] وكذلك ورد عنه عليه السلام: « **إذا أحب الله عبداً ألهمه رشده ووفقه لطاعته** »[4]، وعنه عليه السلام: « **إذا أحب الله عبداً خطر عليه العلم** »[5]، وغيرها من الأحاديث التي تذكر الألطاف الإلهية والهدايا الربانية التي أتحف بها أكرم الأكرمين محبيه. أما كيف يكون العبد قريباً من الله تعالى حبيباً له فقد دلنا أئمة أهل البيت عليهم السلام في جملة من أحاديثهم الشريفة على الأعمال التي من شأنها أن تقربنا من ساحة قدسه فعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه سأل رب العزة عندما أسري به قال: « **يا رب ما حال المؤمن عندك؟ قال: يا محمّد ما يتقرب اليَّ عبد من عبادي بشيء أحب اليَّ مما افترضت عليه وإنه ليتقرب اليَّ بالنافلة حتى أحبه فإذا أحببته كنت إذاً سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ولسانه الذي ينطق به ويده التي يبطش بها إن دعاني أجبته وإن سألني أعطيته** »[6]، وعن أبي محمد الحسن العسكري أنه قال: « **إن الوصول الى الله عز وجل سفر لا يدرك الا بامتطاء الليل** »[7]، وعن أمير المؤمنين عليه السلام: « **تقرب العبد**

---

(١) البحار / ج ١٠٢ / ص ٢٦.
(٢) غرر الحكم.
(٣) غرر الحكم.
(٤) غرر الحكم.
(٥) غرر الحكم.
(٦) أصول الكافي / ج ٢ / ص ٣٥٢.
(٧) بحار الانوار / م ٧٨ / ص ٣٨٠.

الى الله تعالى بإخلاص نيته»[1] لأن العبد إذا لم يخلص النية في حركة وسكون يكون غافلاً والغافلون قد وصفهم الله تعالى ـ كما يقول الصادق عليه السلام ـ: ﴿ أُولئك كالأنعام بل هم أضل ﴾ وقال: ﴿ أُولئك هم الغافلون ﴾ ، وعلامة الغافل ثلاث: اللهو والسهو والنسيان ، فالذي يبعد قلبه وجوارحه عن هذه الأمور ويتجه لله تعالى يكون قريباً منه . وقد أوصى لقمان الحكيم ابنه بست خصال تقرب من الله تعالى وهي: «أن يعبد لا يشرك به شيئاً والرضا بقدر الله فيما أحببت أو كرهت والثالثة أن يحب في الله ويكره في الله والرابعة أن يحب للناس ما يحب لنفسه والخامسة يكظم الغيظ ويحسن الى من أساء اليه والسادسة ترك الهوى ومخالفة الردى»[2].

﴿وأي جهل يا رب لا يسعه جودك أو أي زمان أطول من أناتك وما قدر أعمالنا في جنب نعمك وكيف نستكثر أعمالاً نقابل بها كرمك بل كيف يضيق على المذنبين ما وسعهم من رحمتك﴾

الأناة: التأني .

الجود: المطر الغزير . العطاء من غير مسألة .

الله أكبر من كل شيء ورحمته أوسع من السماوات والأرض ومقارنة أعمالنا برحمة الله وكرمه عمل لا طائل له فإذا قارنّا المعاصي بكرمه وعفوه ورحمته نجد حلم الله تعالى أكبر من كل جهل وأناته أطول من كل زمن وإذا أخذنا العجب والغرور بأعمالنا الخيرة نجد كرم رب العالمين التفضلي أوسع وأكبر من كل عمل هذا إذا كانت

---

(١) غرر الحكم للآمدي .

(٢) مستدرك الوسائل / ج ٢ / ص ٢٨٠.

الأعمال متقبلة مثل عمل الأنبياء فرسولنا الكريم صلى الله عليه وآله وسلم يقول: « **لو كان لرجل عمل سبعين نبياً لاستقل عمله من شدة ما يرى يومئذ يعني يوم القامة** »[1]، وذلك لأن أهوال القيامة وعقباتها والثواب الذي أعده الله تعالى للسعداء من عباده سيجعلهم يستقللون أعمالهم ليدرئوا عن أنفسهم العذاب وكذلك يستقللون أعمالهم للثواب المنتظر حيث لا عين رأت ولا أُذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

أما إذا كانت الأعمال غير متقبلة ـ لا سمح الله ـ فهي الطامة الكبرى والخسران العظيم حيث لا ينفع الندم، وآفات الأعمال كثيرة، ففي حديث لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قاصم للظهر وهو: « **يا معاذ إن الله تعالى خلق سبعة أملاك قبل أن يخلق السماوات فجعل في كل سماء ملكاً قد جللها بعظمته وجعل لكل باب من أبواب السماوات ملكاً بوّاباً فيكتب الحفظة عمل العبد من حين أن يصبح الى حين يمسي ثم ترتفع الحفظة بعمله وله نور كنور الشمس حتى إذا بلغ سماء الدنيا فتزكيه وتكثره فيقول قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه أنا ملك الغيبة فمن اغتاب لا أدع عمله يجاوزني الى غيري أمرني بذلك ربي. قال ثم تجي الحفظة من الغد ومعهم عمل صالح فتمر به تزكية وتكثره حتى يبلغ السماء الثانية فيقول الملك الذي في السماء الثانية قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه إنما أراد بهذا عرض الدنيا أنا صاحب الدنيا لا أدع عمله يجاوزني الى غيري. قال ثم تصعد الحفظة بعمل العبد مبتهجة بصدقة وصلاة فتعجب به الحفظة وتجاوزه الى السماء الثالثة فيقول الملك قفوا فاضربوا بهذا العمل وجه صاحبه وظهره أنا صاحب الكبر انه علم وتكبر**

---

(١) بحار الانوار / ٧٧ / ص ٨٢.

على الناس في مجالستهم أمرني ربي أن لا أدع عمله يجاوزني الى غيري قال وتصعد الحفظة بعمل العبد يزهر كالكوكب الدري في السماء له دوي بالتسبيح والصوم والحج فتمر به الى السماء الرابعة فيقول لهم الملك قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه وبطنه أنا ملك العجب إنه كان يعجب بنفسه وإنه عمل وأدخل نفسه العجب أمرني ربي لا أدع عمله يجاوزني الى غيري.

قال وتصعد الحفظة بعمل العبد كالعروس المزفوفة الى بعلها فتمر به الى ملك السماء الخامسة بالجهاد والصدقة ما بين الصلاتين ولذلك العمل ضوء كضوء الشمس فيقول الملك قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه واحملوه على عاتقه أنا ملك الحسد إنه كان يحسد من يتعلم أو يعمل لله بطاعته وإذا رأى لأحد فضلاً في العمل والعبادة حسده ووقع فيه فيحمله على عاتقه ويلعنه عمله. قال وتصعد الحفظة بعمل العبد فتتجاوز السماء السادسة فيقول الملك قفوا أنا صاحب الرحمة اضربوا بهذا العمل وجه صاحبه واطمسوا عينيه إن صاحبه لا يرحم شيئاً إذا أصاب عبداً من عباد الله ذنباً للآخرة أو ضراً في الدنيا شمت به أمرني ربي أن لا أدع عمله يتجاوزني. قال وتصعد الحفظة بعمل العبد بفقه واجتهاد وورع له صوت كصوت الرعد وضوء كضوء البرق ومعه ثلاثة آلاف فتمر به ملك السماء السابعة فيقول الملك قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه أنا ملك الحجاب أحجب كل عمل ليس لله تعالى إنه أراد رفعه عند القواد وذكراً في المجالس وصيتاً في المدائن أمرني ربي أن لا أدع عمله يجاوزني ما لم يكن له خالصاً. قال وتصعد الحفظة بعمل العبد مبتهجاً من صلاة وزكاة وصيام وحج وعمرة وخلق حسن وصمت وذكر كثير تشيعه ملائكة السماوات والملائكة السبعة بجماعتهم فيطأون الحجب كلها حتى يقوموا

بين يدي الله تعالى سبحانه فيشهدوا له بعمل ودعاء فيقول أنتم حفظة عمل عبدي أنا رقيب على ما في نفسه لم يردني بهذا العمل عليه لعنتي فيقول الملائكة لعنتك ولعنتنا».

من خلال الحديث السابق عرفنا أن محبطات عمل العبد: الغيبة وعرْض الدنيا والتكبر والعجب والحسد وعدم الرحمة (القسوة) وإذا كان العمل ليس لله. لذا فالخوف من ذهاب أعمالنا كرماد بقيعة وعلى كل حال عمل كل عامل كنقطة في بحر لآلاء الله ونعمه فالشكر منا لله تعالى نحتاج عليه شكراً لأنه ألهمنا الشكر وعرفنا به حيث يقول الامام زين العابدين عليه السلام: «**اللهم إن أحداً لا يبلغ من شكرك غاية الا حصل عليه من إحسانك ما يلزمه شكراً ولا يبلغ مبلغاً من طاعتك وإن اجتهد الا كان مقصراً دون استحقاقك بفضلك فأشكر عبادك عاجز عن شكرك وأعبدهم مقصر عن طاعتك**»(١)، وفي نفس الدعاء يناجي عليه السلام رب العالمين بالسبب: «**ولكنك بكرمك جازيته على المدة القصيرة الفانية بالمدة الطويلة الخالدة وعلى الغاية القريبة الزائلة بالغاية المديدة الباقية ثم لم تسمه القصاص فيما أكل من رزقك الذي يقوى به على طاعتك ولم تحمله على المناقشات في الآلات التي تسبب باستعمالها الى مغفرتك ولو فعلت ذلك لذهب بجميع ما كدح له وجملة ما سعى فيه جزاءً للصغرى من أياديك ومننك ولبقي رهيناً بين يديك بسائر نعمك**»(٢).

﴿يا واسع المغفرة يا باسط اليدين بالرحمة فوعزتك يا سيدي لو انتهرتني ما برحت من بابك ولا كففت عن تملقك لما انتهى الي من المعرفة بجودك

---

(١) الصحيفة السجادية / الدعاء السابع والثلاثون.

(٢) نفس الدعاء السابق.

وكرمك وأنت الفاعل لما تشاء تعذب من تشاء بما تشاء كيف تشاء وترحم من تشاء بما تشاء كيف تشاء لا تسأل عن فعلك ولا تنازع في ملكك ولا تشارك في أمرك ولا تضاد في حكمك ولا يعترض عليك أحد في تدبيرك لك الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين ﴾

باسط : بسط اليد : مدها عليه . برح : زال .

العزة : حالة مانعة للإنسان عن أن يغلب من قولهم، أرض عزاز أي صلبة قال تعالى : ﴿ أيبتغون عندهم العزة فإن العزة لله جميعاً ﴾[1] والعزة بمعنى مطلق الصعوبة . الأنفة والحمية .القلة وصعوبة المنال .

التملق : ملق الشيء : لينه ومالقه : تودد اليه وتذلل له وأبدى له بلسانه من الإكرام والود ما ليس في قلبه . تضاد : تخالف .

تدبير : دبر الأمر : تفكر فيه ونظر في عاقبته . اعتنى به ونظمه .

بركة : تشريف وتمجيد وكرامة . ثبوت الخير الإلهي والخير المستقر .

يتذلل الداعي لله تعالى وحتى لو نهره رب العالمين لا يبرح عن بابه ويقسم بذلك بعزة الله ليظهر ذله وضعفه أمام العزة التي لا تقهر ولا تغلب إحساساً منه بالعبودية لله تعالى وأنه سبب كل قوة ومنعة إلحاحاً منه على الله تعالى والإلحاح دليل على ثقة العبد بربه وكلما كانت الثقة قوية كلما قوي العبد في الإلحاح وإذا كانت الثقة ضعيفة سرعان ما يعتري الداعي اليأس فينقطع عن الدعاء، وقد وردت تأكيدات على

(١) مفردات غريب القرآن للراغب الاصفهاني .

استحباب الإلحاح في الدعاء فقد قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**الدعاء ترس المؤمن ومتى يكثر قرع الباب يفتح لك**»[1].

وعن الإمام الباقر عليه السلام: «**إن الله كره إلحاح الناس بعضهم على بعض في المسألة وأحب ذلك لنفسه**»[2].

ثم يتشبث الداعي بمعرفته بجود الله تعالى وكرمه والجود الإحسان الكثير والإنعام من غير سؤال أما الكرم العطاء مع السؤال ورب العزة الفاعل لما يشاء ومشيئته نافذة تختلف عن مشيئة البشر لأن مشيئة البشر تتأثر بالمصالح والمؤثرات الخارجية بينما مشيئة الله تعالى فوق المصالح والمؤثرات وأمره تعالى غالب وحكمه نافذ وهو فوق عباده يَقهر ولا يُقهر وإذا كانت أفعال البشر مبنية على العقل في الفعل والترك فإن أفعال الله تعالى فوق العقل لأن هو خالق العقل وهاديه وإذا أراد تعالى أن يعذب أحداً بالطريقة والكيفية والواسطة له الأمر والإرادة دون أن يكون في حكمه حيف أو ظلم وإذا أراد أن يفيض رحمته على عباده له الحكم والأمر لا يسأل من أحد لماذا رحمت أو لماذا عذبت كالبشر ﴿ **لا يُسأل عمّا يفعل وهم يُسئلون** ﴾[3]، وليس له ضد يعانده ولا شبيه يشاكله حتى يكون تنازع في ملكه أو تضاد أو تعارض في تدبيره.

وبعد أن يذكر الداعي طرفاً من طول الله ومشيته وقدرته فيدعو «**تبارك الله رب**

---

(١) وسائل الشيعة / ج ٤ / ص ٨٥.

(٢) بحار الانوار / م ٩٣ / ص ٣٧٤.

(٣) الأنبياء / ٢٣.

العالمين» أي عظمت بركاته وتجلل وتقدس بما لم يزل عليه من الصفات ولا يزال سبحانه كذلك فلا يشاركه فيه غيره.

ورب العالمين: الرب: المصلح لاشتقاقه من التربية ولهذا الإسم الشريف منزلة عظيمة في الكتب السماوية ومنها القرآن الكريم لأنه مجمع جميع أسماء أفعال الله المقدسة لأن جميع أفعاله تبارك وتعالى متشعبة من جهة تدبيره تعالى وتربيبه في كل موجود بحسبه فالرب مظهر الرحمة والخلق والقدرة والتدبير والحكمة فهو الشامل لما سواه تعالى فإنهم المربوبون له تعالى على اختلاف مراتبهم. ولجلال عظمته وقع مقسماً به قال تعالى: ﴿ فلا وربك لا يؤمنون ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿ فورب السماء والأرض إنه لحق ﴾[2]، ولم يرد في القرآن الكريم دعاء من عباده الا مبدوّاً باسم الرب، ولعل السر في ذلك هو إفادة هذا اللفظ حالة الإنقطاع الى الله تعالى أكثر من غيره ولذا وقع من أنبياءه العظام في تلك الحالة[3].

أما العالمين: جمع عالم وهو جمع لا واحد له من لفظه كالقوم والرهط والنفر واشتقاقه من العلامة بمعنى الدلالة فكل ما هو مخلوق علامة وآية كاشفة عن خالقه وقيل من العلم لأنه اسم يقع على ما يعلم وهو في عرف اللغة عبارة عن جماعة من العقلاء لأنهم يقولون جاءني عالم من الناس ولا يقولون جاءني عالم من البقر وفي المتعارف بين الناس هو عبارة عن جميع المخلوقات وتدل عليه الآية: ﴿ قال وما

(١) النساء / ٦٥.

(٢) الذاريات / ٢٣.

(٣) للمزيد من التفاصيل راجع تفسير مواهب الرحمن للسيد السبزواري.

رب العالمين قال رب السماوات والأرض وما بينهما ﴾، وقيل هو اسم لكل صنف من الأصناف وأهل كل قرن من كل صنف يسمى عالماً ولذلك جُمع فقيل عـالمون لعالم كل زمان[1].

﴿يا رب هذا مقام من لاذ بك واستجار بكرمك وألف إحسانك ونعمك وأنت الجواد الذي لا يضيق عفوك ولا ينقص فضلك ولا تقلّ رحمتك﴾

مَن غير رب العالمين يقبل العبد العاصي ويرحم ضعفه ومن غيره لا ينقص فضله ولا تقل رحمته والداعي يدرك هذه الحقيقة فيقف مستجيراً بكرمه لائذاً برحمته وهو الذي اعتاد إحسانه وألف فضله.

﴿وقد توثقنا منك بالصفح القديم والفضل العظيم والرحمة الواسعة أفتراك يا رب تخلف ظنوننا أو تخيب آمالنا كلا يا كريم فليس هذا ظننا بك ولا هذا فيك طمعنا يا رب ان لنا فيك أملاً طويلاً كثيراً ان لنا فيك رجاءً عظيماً عصيناك ونحن نرجو أن تستر علينا ودعوناك ونحن نرجو أن تستجيب لنا فحقق رجاءنا مولانا﴾

هذه الفقرة تكمل الفقرة السابقة حيث يستجير بكرم الله تعالى بعدما تعود على الرحمة والكرم ومهما تكن سعة الكرم لا يؤثر في ملك الله ولا تنقص خزائنه ولاسيما وهو ذو النعم السابقة السابغة المتلاحقة.

ويقدم الداعي رصيده الذي يمتلكه وهو الأمل والرجاء الذي يغمر قلبه في الله

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن / ج ١.

تعالى والظن الحسن بربه في أن يستر عليه ويستجيب دعائه ويحقق رجائه.

﴿فقد علمنا ما نستوجب بأعمالنا ولكن علمك فينا وعلمنا بأنك لا تصرفنا عنك حثّنا على الرغبة اليك وان كنا غير مستوجبين لرحمتك فأنت أهل أن تجود علينا وعلى المذنبين بفضل سعتك فامنن علينا بما أنت أهله وجد علينا فإنا محتاجون الى نيلك﴾

استوجب: استحق.

النيل: المقصود، المعروف.

عندما نقف نناجي رب العالمين فإننا لا نناجي جاهلاً بأحوالنا بل نقف بانكسار وخضوع نعترف أمام رب العزة بضعف موقفنا وجرائمنا ومعاصينا. وقوفنا أمام الله تعالى يغني ثورة داخل نفسنا وأرواحنا وتسيطر هذه الثورة على جميع قوانا وتبعث الطمأنينة في قلوبنا والسكون لأرواحنا. الطمأنينة لوثوقنا بسعة رحمة الله تعالى وعظم عفوه وكرمه وقديم إحسانه ونعرض حاجاتنا أمامه وقلوبنا مفعمة بالثقة بمنه العظيم.

﴿يا غفار بنورك اهتدينا وبفضلك استغنينا وبنعمتك أصبحنا وأمسينا ذنوبنا بين يديك نستغفرك اللهم منها ونتوب اليك تتحبب الينا بالنعم ونعارضك بالذنوب خيرك الينا نازل وشرنا اليك صاعد﴾

يرفدنا رب العالمين بنعمه وإحسانه وشتان بينه وبيننا فخيره الينا نازل وشرنا اليه صاعد إذا لا يبدر منا الا المعاصي والذنوب. جل جلاله وتقدست آلائه يتحبب الينا بالنعم ونعارضه بالذنوب.

إحسانه قديم وصفحه جميل وستره مرخى أول نعمه علينا نعمة الإسلام جعل الإسلام لنا نوراً وحياةً لقلوبنا وأرواحنا نستنير به ونهتدي اليه بالأعمال الصالحة الى طريق السعادة الخالدة.

﴿ولم يزل ولا يزال ملك كريم يأتيك عنا بعمل قبيح فلا يمنعك ذلك من أن تحوطنا بنعمك وتتفضل علينا بآلائك فسبحانك ما أحلمك وأعظمك وأكرمك مبدئاً ومعيداً﴾

الآلاء: جمع ألي بمعنى النعمة.

المبدي والمعيد: هو الذي بدأ الأشياء اختراعاً ثم يعيدهم الى الممات ثم يعيدهم بعد الممات الى الحياة لقوله تعالى: **﴿ وكنتم أمواتاً فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم اليه ترجعون ﴾**[١].

سبحان: اسم مصدر للتسبيح بمعنى التنزيه ويستعمل مضافاً وهو مفعول مطلق قائم مقام فعله فتقدير (سبحان الله) سبحت الله تسبيحاً أي نزهته عن كل ما لا يليق بساحة قدسه وكثيراً ما يستعمل للتعجب[٢].

وهذا السياق يلائم التنزيه لكونه الغرض من البيان وفي التوحيد سأل رجل عمر بن الخطاب عن تفسير (سبحان الله) قال عمر إن في هذا الحائط (البستان) رجلاً كان إذا سئل أنبأ وإن سكت ابتدأ فدخل الرجل فإذا هو علي بن أبي طالب عليه السلام فقال: يا أبا الحسن ما تفسير سبحان الله؟ قال: **هو تعظيم جلال الله (عز وجل) وتنزيهه عما قال**

---

(١) مصباح الكفعمي / ج ١ / ص ٣٧٩.

(٢) الميزان في تفسير القرآن / م ١٣ / ص ٧.

فيه كل مشرك فإذا قاله العبد صلى عليه كل ملك[1].

والملك الكريم المقصود هنا هو الذي يكتب للعبد سيئاته وقد وصف بالكرم مع كاتب الحسنات لوجوه منها أن الملائكة توصف بالكرم لعدم عصيانها رب العالمين ويفعلون ما يؤمرون وهم منزهون عن الذنوب ويعملون بأمر الله تعالى ولا يغفلون عن ذكره طرفة عين والرأي الآخر هو أن ملك الحسنات يكتب الحسنة بعشرة حسنات وكاتب السيئات يمهل العبد عشر ساعات بعد عمله السيئة ليتوب. ومنها أن الحفظة تفرح بعمل العبد الصالح وتتشفع له لدى الخالق سبحانه في قبوله وكذلك تزكي عمل العبد ليُقبل وتزفه كما تزف العروس وتبشر به بقية الملائكة.

وفي هذا المقطع لا يزال الداعي يعرض بذل أعماله السيئة على رب العالمين ويعترف بها وفي ذات الوقت ينزه رب العالمين من أن يعامله كما يستحق وإنما يعامله بكرمه وتفضله وينزهه عن أن يعامله ما يغير حلمه وعظمته وكرمه.

﴿تقدست أسماؤك وجل ثناؤك وكرم صنائعك وفعالك أنت الهي أوسع فضلاً وأعظم حلماً من أن تقايسني بفعلي وخطيئتي فالعفو العفو سيدي سيدي سيدي﴾

تقدست: تطهرت وتنزهت أسماؤك وجلت وعظمت وترفعت عن العيب.

الثناء: المدح.

الصنائع: جمع صنيعة وهو الإحسان.

---

(١) سفينة البحار / م ٣ / ص ٢٠٢.

العفو: الفضل والمعروف.

المعنى تقدست يا رب وعظم ثناؤك وكرم فضلك وجلت قدرتك وعظم حلمك.

يقف الداعي موقف السؤال والعبودية أمام الله تعالى ليرحم ذله ويعفو عنه ويكرر سؤله بإلحاح لعل رب العالمين يلتفت اليه ويعطيه سؤله ويرحم ضعفه في غفران الذنوب ونشر الرحمة وإنزال البركة ثم ليمهد بعد ذلك لحاجات أُخرى تقربه من ربه.

﴿اللهم اشغلنا بذكرك﴾

اللهم أي يا الله والميم المشددة عوضاً عن حرف النداء المحذوف ولا يجمع بينهما فلا يقال يا اللّهُم وقد حذف حرف النداء وأُبدل ميماً مشددة لكثرة دورانها على الألسن وبداية الدعاء بـاللّهم من آداب الدعاء حيث يبدأ باسم الله تعالى.

أما الذكر فمعناه حضور المعنى للنفس وقد يكون بالقلب أو باللسان أو كلاهما والذكر كذلك الشرف والنباهة والفرق بين الذكر والخاطر أن الخاطر ما يمر بالقلب والذكر قد يكون القول أيضاً[1].

ثم ان الذكر ربما قابل الغفلة كقوله تعالى: ﴿ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا﴾[2]. وربما قابل النسيان وهو زوال صورة العلم عن خزانة الذهن فالذكر خلافه ومنه قوله تعالى: ﴿واذكر ربك إذا نسيت﴾[3].[4]

---

(١) للمزيد للمعلومات راجع تفسير مجمع البيان / ج ١ / ص ٣٠٠.

(٢) الكهف / ٢٨.

(٣) الكهف / ٢٤.

(٤) الميزان في تفسير القرآن / ج ١ / ص ٣٣٩.

أما مراتب الذكر فعديدة فعن أحد الصادقين عليهما السلام قال: «**ذكر اللسان الحمد والثناء وذكر النفس الجهد والعناء وذكر الروح الخوف والرجاء وذكر القلب الصدق والصفاء وذكر العقل التعظيم والحياء وذكر المعرفة التسليم والرضا وذكر السر الرؤية واللقاء**»(١).

وقد حث الله تعالى في قرآنه المجيد على الذكر وقال تعالى: ﴿أُذكروني أذكركم﴾ قيل ان المعنى أُذكروني بطاعتي أذكركم برحمتي وقيل أُذكروني على وجه الأرض أذكركم في بطنها وقد جاء في الدعاء أُذكروني عند البلاء إذا نسيني الناسون من الورى وقيل أُذكروني في الدنيا أذكركم في العقبى وقيل أُذكروني في النعمة والرخاء أذكركم في الشدة والبلاء وقيل أُذكروني في الدعاء أذكركم بالإجابة(٢).

ولذكر الله خصائص منها انه أصل لصلاح القلوب حيث يعمر القلب فتحسن أفعال المرء في السر والجهر.

فتتنور البصائر ويطرد الشيطان وتكون الثمرة عصمة العبد لإشتغاله بذكر الله تعالى وقد جاء في الدعاء: «**يا من ذكره شرف للذاكرين**»(٣) و «**يا من ذكره شفاء**»(٤).

ولقد كان أهل البيت عليهم السلام كثيري الذكر، فقد روي عن الإمام الصادق عليه السلام في حديثه عن أبيه الباقر عليه السلام قال: «**كان أبي كثير الذكر لقد كنت أمشي معه وانه ليذكر الله**

---

(١) مستدرك الوسائل / ج ١ / ص ٤٠١.

(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن / ج ١ / ص ٣٠٠.

(٣) مناجاة الامام السجاد عليه السلام .

(٤) دعاء كميل.

وآكل معه الطعام وإنه ليذكر الله ولقد كان يحدث القوم وما يشغله ذلك عن ذكر الله تعالى وكنت أرى لسانه لازقاً بحنكه يقول: لا إله إلا الله وكان يجمعنا فيأمرنا بالذكر حتى تطلع الشمس ويأمر بالقراءة من كان يقرأ منا ومن كان لا يقرأ منا أمره بالذكر»[1].

وقد توعد الله تعالى من يعرض عن ذكره حيث قال جل من قائل: ﴿ ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكاً ونحشره يوم القيامة أعمى قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً قال كذلك أتتك آياتي فنسيتها وكذلك اليوم تنسى ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿ ومن يعشُ عن ذكر الرحمن نقيض له شيطاناً فهو له قرين ﴾[3].

ولذكر الله موانع، فعن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «**من اشتغل بذكر الناس قطعه الله سبحانه عن ذكره**»، ولهذا نرى الداعي أول سؤال يسأله بعد العفو والمغفرة هو أن يشغله الله بذكره ليزداد نوراً وبصيرةً وشرفاً.

﴿وأعذنا من سخطك وأجرنا من عذابك﴾

عوذ: لجأ.

السخط: ضد الرضا وهو الغضب وسخط الشيء: كرهه وقيل أن السخط لا يكون الا من الكبراء والعظماء، ومن الأعمال التي تسخط الله تعالى ولاية أعداء الله تعالى وقد قال الله تعالى في ذلك: ﴿ ترى كثيراً منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت

---

(١) سفينة البحار / ج ٣.
(٢) طه / ١٢٤ ـ ١٢٦.
(٣) الزخرف / ٣٦.

لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون ﴾[١].

وقد مر النبي عيسى عليه السلام على قرية قد مات أهلها وطيرها ودوابها فقال: « **أما إنهم لم يموتوا الا بسخطه ولو ماتوا متفرقين لتدافنوا** »، فقال الحواريون: يا روح الله وكلمته ادع الله أن يحييهم لنا فيخبرونا ما كانت أعمالهم فنتجنبها، فدعى عيسى عليه السلام ربه فنودي من الجو أن نادهم فقام عيسى الليل على شرف من الأرض فقال: **يا أهل هذه القرية** فأجابه منهم مجيب: لبيك يا روح الله وكلمته. فقال: **ويحكم ما كانت أعمالكم؟** فقال: عبادة الطاغوت وحب الدنيا مع خوف قليل وأمل بعيد في غفلة ولهو لعب فقال: **كيف كان حبكم للدنيا؟** قال: كحب الصبي لأمه إذا أقبلت علينا فرحنا وسررنا وإذا أدبرت عنا بكينا وحزنا، قال: **كيف كان عبادتكم للطاغوت؟** قال: الطاعة لأهل المعاصي، قال: **كيف كانت عاقبة أمركم؟** قال: بتنا ليلة في عافية وأصبحنا في هاوية، قال: **وما الهاوية؟** قال: سجين، قال: **وما سجين؟** قال: جبال من جمر توقد علينا الى يوم القيامة قال: **فما قلتم وما قيل لكم؟** قال: قلنا: ردنا الى الدنيا فنزهد فيها، قيل لنا: كذبتم. قال: **ويحك لم يكلمني غيرك من بينهم؟** قال: يا روح الله وكلمته إنهم ملجمون بلجام من نار بأيدي ملائكة غلاظ شداد وإني كنت فيهم ولم أكن منهم فلما نزل العذاب عمني معهم، فأنا معلق بشعرة على شفير جهنم لا أدري أكبكب فيها أم أنجو منها، فالتفت عيسى عليه السلام الى الحواريين فقال: « **يا أولياء الله أكل الخبز اليابس بالملح الجريش والنوم على المزابل خير كثير مع عافية الدنيا والآخرة** »[٢].

---

(١) المائدة / ٨٠.

(٢) سفينة البحار / ج ٦ / ص ٥١٥.

عذاب الله تعالى لا تقوم له السماوات والأرض فكيف بالإنسان الضعيف المسكين الذي تؤلمه البقة وتنتنه العرقة وتقتله الشرقة. لذا فالداعي يطلب من رب العالمين يعوذه ويحفظه من غضبه ويؤجره من عذابه.

﴿وارزقنا من مواهبك وأنعم علينا من فضلك وارزقنا حج بيتك وزيارة قبر نبيك صلواتك ورحمتك ومغفرتك ورضوانك عليه وعلى أهل بيته انك قريب مجيب﴾

المواهب: جمع موهبة وهي العطية.

الفضل: الإحسان أو الإبتداء بالإحسان بلا علة له.

أما الحج ففي اللغة القصد بعدالقصد أي القصد المكرر، وسمي به العمل الخاص الذي شرعه الله تعالى على عهد ابراهيم الخليل عليه السلام وجرت عليه شريعة محمد صلى الله عليه وآله وسلم السمحاء لما فيه من قصد البيت الحرام أما علية تشريع الحج في رد الامام الصادق عليه السلام على عبد الكريم بن أبي العوجاء يبين سبب ذلك وهو: «... **وهذا البيت استعبد الله به خلقه ليختبر طاعتهم في إتيانه. فحثهم على تعظيمه وزيارته وقد جعله محل الأنبياء وقبلة للمصلين له فهو شعبة من رضوانه وطريق تؤدي الى غفرانه منصوب على استواء الكمال ومجتمع العظمة والجلال**»[1].

وقال الامام علي بن موسى الرضا عليه السلام: «**علة الحج الوفادة الى الله عز وجل وطلب الزيادة والخروج من كل ما اقترف وليكون تائباً مما مضى مستأنفاً لما يستقبل وما فيه من**

---

(١) بحار الانوار / م ٩٩ / ص ٢٩.

استخراج الأموال وتعب الأبدان وحظرها على الشهوات واللذات ومنفعة من في المشرق والمغرب ومن في البر والبحر وممن يحج ومن لا يحج من تاجر وجالب وبايع ومشتري وكاتب ومسكين وقضاء حوائج أهل الأطراف والمواضع الممكن لهم الإجتماع فيها كذلك ليشهدوا منافع لهم»[١].

وأول من حج آدم عليه السلام حيث انه لما أراد الله تعالى أن يتوب عليه بها فانطلق به جبرئيل حتى أتى البيت فنزلت عليه غمامة من السماء فقال له جبرئيل: خط برجلك حيث أظلك هذا الغمام ثم انطلق به الى منى ثم الى عرفات[٢].

والعمرة والإعتمار الزيارة وأصله العمارة لأن الديار تعمر بالزيارة وتبدأ العمرة بالإحرام من أحد المواقيت الطواف وصلاته والسعي بين الصفا والمروة والتقصير، ويبتدأ الحج بالإحرام والوقوف بعرفات ثم المشعر الحرام وفيها التضحية بمنى ورمي الجمرات الثلاث والطواف وصلاته والسعي بين الصفا والمروة[٣].

وللحج منافع دنيوية وأُخرى أُخروية، فأما الدنيوية فهي التي تتقدم بها حياة الانسان الإجتماعية ويصفو بها العيش وترفع بها الحوائج المتنوعة وتكمل بها النواقص المختلفة من أنواع التجارة والسياسة والولاية والتدبير وأقسام الرسوم والآداب والسنن والعادات ومختلف التعاونات والتعاضدات الإجتماعية الأخرى، فإذا اجتمعت أقوام وأمم من مختلف مناطق الأرض وأصقاعها على ما لهم من

(١) بحار الانوار.

(٢) علل الشرائع.

(٣) الميزان في تفسير القرآن / ج ٢ / ص ٧٦.

اختلاف الأنساب والألوان والسنن والآداب ثم تعارفوا بينهم وكلمتهم واحدة هي كلمة الحق وإلههم واحد وهو الله عز اسمه ووجهتهم واحدة هي الكعبة البيت الحرام حملهم اتحاد الأرواح على تقارب الأشباح.

أما المنافع الأُخروية فهي وجوه التقارب الى الله تعالى بما يمثل عبودية الإنسان من قول أو فعل. وعمل الحج بما له من المناسك يتضمن أنواع العبادات من التوجه الى الله تعالى وترك لذائذ الحياة وشواغل العيش والسعي اليه بتحمل المشاق والطواف حول بيته والصلاة والتضحية والإنفاق والصيام وغير ذلك(١).

وكما مر سابقاً ان الحج يمثل فرصة كبرى للعفو وجو مفعم بطلب التوبة والإستغفار والرجوع الى الصراط المستقيم، فعن رسول الله ﷺ قال: «**للحاج والمعتمر إحدى ثلاث خصال إما يقال له: قد غفر لك ما مضى، وإما أن يقال له: قد غفر لك ما مضى فاستأنف العمل، وإما يقال له: قد حفظت في أهلك وولدك وهي أخسهن**»(٢).

وقد لقي أعرابي رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله اني خرجت أُريد الحج ففاتني وأنا رجل مميل (أي ذو مال) فمرني أصنع بمالي ما أبلغ به أجر الحج، فالتفت اليه رسول الله ﷺ وقال: «**أنظر الى جبل قبيس (جبل شرقي مكة وهو أقرب الجبال الى المسجد الحرام) فلو أن أبا قبيس ذهبةٌ حمراء أنفقته في سبيل الله ما بلغت ما يبلغ الحاج**» ثم قال: «**إن الحاج إذا أخذ في جهازه لم يرفع شيئاً ولم يضعه الا كتب الله له عشر درجات فإذا ركب بعيره لم يرفع خفاً ولم يضعه الا كتب الله له مثل ذلك فإذا طاف بالبيت**

---

(١) الميزان في تفسير القرآن / م ١٤ / ص ٣٧٠.

(٢) سفينة البحار / ج ٢ / ص ٥٢.

خرج من ذنوبه فإذا سعى بين الصفا والمروة خرج من ذنوبه فإذا وقف بعرفات خرج من ذنوبه فإذا وقف بالمشعر الحرام خرج من ذنوبه فإذا رمى الجمار خرج من ذنوبه »(١).

أما زيارة قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم فلها فضل عظيم، فقد ورد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: **« انه من زارني بعد وفاتي كان كمن زارني في حياتي وكنت له شهيداً وشافعاً يوم القيامة »**(٢).

وقال أيضاً عليه وعلى آله الصلاة والسلام: **« من أتى مكة حاجاً ولم يزرني بالمدينة جفوته يوم القيامة ومن زارني زائراً وجبت له شفاعي ومن وجبت له شفاعتي وجبت له الجنة ومن مات في أحد الحرمين مكة أو المدينة لم يعرض الى الحساب ومات مهاجراً الى الله وحشر يوم القيامة مع أصحاب بدر »**(٣).

ونعود للدعاء فالداعي يطلب من رب العالمين من مواهبه ورزقه وحج بيته وزيارة قبر نبيه صلى الله عليه وآله وسلم لما في الحج وزيارة قبر خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله وسلم من الفضل العميم والفوز المؤكد الشفاعة يوم القيامة وغفران الذنوب والخلود المقيم وهذه الفقرة جاءت بصيغة الجمع أي الدعاء على لسان جماعة المتكلمين والسبب في ذلك قد يكون ان الداعي يدعو لغيره من المؤمنين والمؤمنات ليتقبل دعاءه حيث أن التعميم في الدعاء أوجب للدعاء وضمن الإستجابة.

﴿وارزقنا عملاً بطاعتك وتوفنا على ملتك وسنة نبيك صلى الله عليه وآله﴾

---

(١) تهذيب الأحكام / ج ٥ / ص ١٩.

(٢) ثواب الاعمال / ص ٣١٤.

(٣) ثواب الاعمال / ص ٣١٤.

الملة: الطريقة أو الشريعة في الدين. السنة: السيرة، الطريقة.

يطلب الداعي من ربه أن يرزقه الطاعة لأن الطاعة توفيق من الله تعالى وقد ورد في دعاء الحجة (عجل الله تعالى فرجه الشريف): «**اللهم ارزقنا توفيق الطاعة وبعد المعصية**»، والتوفيق العامل الرئيسي لعمل الخير حيث تكون الإستطاعة لدى الكافر لكن يسلب التوفيق فلا يكون عمله لله أما عمل المؤمن فيسند بالتوفيق من الله تعالى بالإضافة الى القوة والإستطاعة على العمل (وسئل الامام الباقر عليه السلام عن معنى لا حول ولا قوة الا بالله، فقال: **معناه لا حول لنا عن معصية الله الا بعون الله ولا قوة لنا على طاعة الله الا بتوفيق الله عز وجل**)[1].

أما التوفي فهو أخذ الشيء أخذاً تاماً ولذا يستعمل في الموت لأن الله تعالى يأخذ عند الموت نفس الإنسان من بدنه. قال تعالى: ﴿ توفته رسلنا ﴾[2] أي أماتته واستعمال كلمة التوفي بالقرآن تعطي معنى الأخذ والحفظ أي أنه تعالى يأخذ الأرواح يحفظها لا يفنيها حتى تبعث للحساب.

وتبقى آخر لحظة من حياة الإنسان هاجس كل مؤمن يخاف مكر الله ويخاف سوء العاقبة والموت على غير دين الإسلام وهذا يوسف الصديق عليه السلام الذي وصفه الله تعالى في محكم كتابه: ﴿ **كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين** ﴾[3] يدعو الله تعالى ويبتهل الى ربه بتبتل: ﴿ **اللهم توفني مسلماً**

---

(١) توحيد الصدوق / ص ٢٤٢.

(٢) الانعام / ٦١.

(٣) يوسف / ٢٤.

وألحقني بالصالحين ﴾ لذا فالداعي يطلب من الله تعالى أن يموت على دين الإسلام وعلى سنة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم .

﴿ اللهم اغفر لي ولوالدي وارحمهما كما ربياني صغيراً أجزهما بالإحسان إحساناً وبالسيئات غفراناً اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات وتابع بيننا وبينهم بالخيرات ﴾

يطلب الداعي غفران ذنوبه وذنوب والديه لأن لهما حق عظيم على الولد وحق الأم أعظم من حق الأب لعظيم عنايتها وعنائها وصبرها وتحملها في تربية الولد، وقد أشار الله تعالى الى ما تقاسيه الأم في الحمل والوضع والتربية ليشعر الولد بحقها وتهييجاً لعواطفه وإثارة لرحمته ورأفته كقوله تعالى: ﴿ ووصينا الإنسان بوالديه حملته أُمه كرهاً ووضعته كرهاً ﴾ [١].

وقال أيضاً: ﴿ ووصينا الإنسان بوالديه حملته أُمه وهناً على وهن ﴾ [٢].

وفي رسالة الحقوق لزين العابدين وسيد الساجدين عليه السلام أورد حق الأُم والأب حيث قال: « **وأما حق أُمك أن تعلم أنها حملتك حيث لا يحتمل أحدٌ أحداً وأعطتك من ثمرةِ قلبها ما لا يعطي أحدٌ أحداً ووقتك بسمعها وبصرها ويدها ورجلها وشعرها وبشرها وجميع جوارحها مستبشرة بذلك فرحة موبلة محتملة لما فيه مكروهها وألمها وثقلها وغمها حتى دفعتها عنك يد القدرة وأخرجتك الى الأرض فرضيت أن تشبع وتجوع هي وتكسوك وتعرى وترويك وتظمأ وتظلك وتضحى وتنعمك ببؤسها وتلذذك بالنوم بأرقّها**

---

(١) الأحقاف / ١٥.

(٢) لقمان / ١٤.

وكان بطنها لك وعاءً وحجرها لك حواءً وثديها لك سقاءً ونفسها لك وقاءً تباشر حر الدنيا وبردها لك ودونك فتشكرها على قدر ذلك ولا تقدر عليه الا بعون الله وتوفيقه وأما حق أبيك فتعلم أنه أصلك وأنك فرعه وأنك لولاه لم تكن فمهما رأيت في نفسك مما لا يعجبك فاعلم أن أباك أصل النعمة عليك فيه وأحمد الله وأشكره على قدر ذلك ولا قوة الا بالله»(١).

وقد خص الله تعالى الإحسان للوالدين في حال الكبر لحاجتهما للعون والمساعدة أكثر وقد ورد في الكافي عن أبي ولّاد الحنّاط قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل ﴿ وبالوالدين إحساناً ﴾(٢) ما هذا الإحسان؟ فقال: **الإحسان أن تحسن صحبتهما وأن لا تكلفهما أن يسألاك شيئاً مما يحتاجان اليه وإن كانا مستغنيين أليس يقول الله عز وجل ﴿ لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ﴾(٣)** قال ثم قال أبو عبد الله عليه السلام : **أما قول الله عز وجل ﴿ اما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أفٍ ولا تنهرهما ﴾(٤) قال إن أضجراك فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما إن ضرباك فقل لهما (غفر الله لكما) فذلك قول كريم، قال ﴿ واخفض لهما جناح الذل من الرحمة ﴾(٥) قال لا تملأ عينيك من النظر إليهما الا برحمة ورقة ولا ترفع صوتك فوق أصواتهما ولا يدك فوق أيديهما ولا تقدم قدامهما.**

---

(١) تحف العقول / ص ١٨٩.
(٢) الإسراء / ٢٣.
(٣) آل عمران / ٩٢.
(٤) الإسراء / ٢٣.
(٥) الإسراء / ٢٤.

وفي رواية عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن حقوق الوالد حيث سأله رجل وهو أن لا يسميه باسمه ولا يمشي بين يديه ولا يجلس قبله ولا يستسب له أي أن لا يفعل ما يصير سبباً لسب الناس(١).

ولم تقصر التوصيات بالوالدين في حال إسلامهما فقط وإنما أيضاً وصت الروايات في حال كون الوالدين على دين غير الإسلام أو كونهما مخالفين، فعن زكريا بن إبراهيم قال: كنت نصرانياً فأسلمت وحججت فدخلت على أبي عبد الله فقلت إن أبي وأُمي على النصرانية وأهل بيتي وأُمي مكفوفة البصر فقال عليه السلام: «**أنظر الى أُمك فبرها فإذا ماتت فلا تتكلها الى غيرك كن أنت الذي تقوم بشأنها**». يقول زكريا فلما قدمت الكوفة ألطفت لأُمي وكنت أطعمها وأخلّي ثوبها ورأسها وأخدمها فقالت لي: يا بني ما كنت تصنع بي هذا وأنت على ديني فما الذي أرى منك منذ هاجرت فدخلت في الحنيفية؟ فقلت: رجل من ولد نبينا أمرني بهذا فقالت: هذا الرجل هو نبي؟ فقلت لا ولكنه ابن نبي. فقالت يا بني إن هذا من وصايا الأنبياء. فقلت: يا أُمّه إنه ليس يكون بعد نبينا نبي ولكنه إبنه فقالت: يا بني إن دينك خير دين، أعرضه عليَّ فعرضته عليها فدخلت الإسلام وعلَّمتها الصلاة فصلّت الظهر والعصر والمغرب والعشاء الآخرة، ثم عرض لها عارض في الليل فقالت: يا بني أعد عليَّ ما علمتني فأعدته عليها فأقرت به وماتت(٢).

وكما وردت روايات في وجوب بر الوالدين في حال الحياة فكذلك وردت

---

(١) بحار الانوار / م ٧٤.

(٢) الكافي / ج ٢ / باب بر الوالدين.

روايات شريفة في وجوب بر الوالدين في حال وفاتهما والبر يكون بالدعاء والإستغفار وقضاء ديونهما والصدقة والحج وكذلك الصلاة والصوم عنهما.

وبر الوالدين من أفضل الأعمال وعقوقهما من الكبائر حيث ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن الله تعالى يقول للعاق إعمل ما شئت فإني لا أغفر لك[1]، وقد وصف الله تعالى العاق في سورة مريم بثلاث أوصاف (جبار، شقي، عصي) وقد قال الله تعالى عن الجبابرة: ﴿ وخاب كل جبار عنيد من ورائه جهنم ويسقى من ماء صديد يتجرعه ولا يكاد يسيغه ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت ومن ورائه عذاب شديد ﴾[2].

وقال تعالى في الأشقياء: ﴿ فأما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها ما دامت السماوات والأرض الا ما شاء ربك ان ربك فعال لما يريد ﴾[3].

وقال تعالى في العاصين: ﴿ ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله ناراً خالداً فيها وله عذاب مهين ﴾[4].[5]

وختاماً إن الأب الروحي الذي يحيي الأرواح والقلوب الميتة الخاوية والذي

---

(١) بحار الانوار / م ٧٤.

(٢) ابراهيم / ١٥ ـ ١٧.

(٣) هود / ١٠٦ ـ ١٠٧.

(٤) النساء / ١٤.

(٥) الذنوب الكبيرة / ج ١ / ص ١٤٤.

يكون سبباً للسعادة الحقيقة هو أجدر بالإحترام والبر من الأب السببي أو الجسدي، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**أنا وعلي أبوا هذه الأمة**»، ولا شك أن برهما هو طاعة أوامرهما واحترام تعاليمهما والمشي في طريقهما وخدمة الدين الحنيف.

ونعود للدعاء: وبعد فإن الداعي لمعرفة حق والديه العظيم عليه ويدعو لهما بمحي السيئات وغفرانها والإحسان إليهما جزاء إحسانهما وبرهما ولا ينسى أن يدعو لعامة المؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات والمتابعة بين المؤمنين الأحياء والداعي بالخيرات معناه أداء حقوقهم كلا الطرفين (الداعي والمؤمنين) والحقوق منها كرد السلام وتشييع الجنازة وتسميت العاطس وحفظ الغيبة وعيادة المريض وتنفيس المكروب والسعي في حوائجهم و.. الى آخره. أما المتابعة بين الداعي والمؤمنين الأموات بالخيرات فهو الدعاء لهم والصدقة والإستغفار والصلاة والزيارة وغيرها عنهم فالمؤمن الميت يصل له خير الأحياء وهم بدورهم يدعون للحي الذي يحسن لهم ويضاعف أجر الحي الذي يحسن للموتى والميت يحتاج حاجة كبيرة للإحسان اليه وبره.

(اللهم اغفر لحينا وميتنا وشاهدنا وغائبنا ذكرنا وانثانا صغيرنا وكبيرنا حرنا ومملوكنا)

ثم يدعو دعوة عامة لأحياء المؤمنين والأموات الشهود والغائبين الذكور والأُناث الصغار والكبار الأحرار والمملوكين، ورب سائل يسأل عن سبب طلب المغفرة للصغار وفي ذلك أوجه: أولاً أن هناك ذنوباً يتحملها حتى الصغار مثل الصغير المميز الذي يتعدى على أموال الناس منهم ويخربها فهو مطالب بها. والوجه الثاني: ان

الصغار المقصود بهم هم الشباب في العقد الثاني (بعد سن التكليف)، والثالث بالنسبة للشيوخ صغاراً وهذه الفقرة في طلب الغفران هي رحمة عامة.

(كذب العادلون بالله وضلوا ضلالاً بعيداً وخسروا خسراناً مبيناً)

العادلون: عدل: ظلم وجار وعدْلاً وعدولاً عن الطريق: حاد وعدل بربه: أشرك.

ضل: ضل ضلالاً وضلالة: ضد اهتدى أي جار عن دين أو حق أو طريق فهو ضال جمع ضُلّال وضالون.

يبدأ فقرة جديدة بالإعتراف بوحدانية الله بنفي الهدى عن الذين ضلوا طريق الله تعالى.

(اللهم صلّ على محمّد وآل محمّد)

يبدأ الداعي هذه الفقرة بالصلاة على محمد وآل محمد لأن كل دعاء محجوب حتى يُصلّى على النبي وآله صلى الله عليه وآله وسلم والصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم من الله رحمة ودعاء واستغفار وهي حسْن الثناء من الله تعالى على الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وقيل إن الصلاة من الله تعالى رحمة ومن الملائكة استغفار ومن المؤمنين دعاء كما في حديث الامام الهادي عليه السلام.

وفضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم عظيم جداً بحيث أنه يكون أثقل ما يوضع في الميزان يوم القيامة. وروي عن الامام علي بن موسى الرضا عليه السلام: **« من لم يقدر على ما يكفر به ذنوبه فليكثر من الصلاة على محمد وآله فإنها تهدم الذنوب هدماً »**[1].

---

(١) سفينة البحار / ج ٥ / ص ١٧٠.

وقال رسول الله ﷺ : **البخيل حقاً من ذُكرت عنده فلم يصل عليَّ**[1].

ومن الناس من يصل على محمد ﷺ ولم يصل على آله وهي الصلاة البتراء كما وصفها النبي ﷺ ، وقد قال ﷺ : « **من صلى عليَّ ولم يصل على آلي لم يجد ريح الجنة وإن ريحها لتوجد من مسيرة خمسمائة عام** »[2].

﴿ واختم لي بخير وأكفني ما أهمني من أمر دنياي وآخرتي ﴾

يطلب الداعي حسن الخاتمة لأن المؤمن لا يزال يخاف من سوء الخاتمة وغضب الجبار لحين موته وظهور ملك الموت له وقد قال أمير المؤمنين عليه السلام : « **كل مخلوق يجري الى ما لا يدري** »[3].

وهناك نماذج كثيرة من أشقياء طالما عملوا زمناً طويلاً عمل أهل الجنة ثم يختم حياته بعمل أهل النار على سبيل المثال: أن من قتلة سيد شباب أهل الجنة الامام الحسين عليه السلام كانوا في جيش أبيه ثم في جيش أخيه الحسن عليه السلام وإذا بهم في نهاية المطاف يكونون قتلة سيد شباب أهل الجنة عليه السلام كشبث بن الربعي وشمر بن ذي الجوشن وغيرهما والزبير الذي عندما رأى الإمام علي عليه السلام سيفه قال: « **أما والله لربّ كربة وكربة قد فرجها صاحب هذا السيف عن وجه رسول الله** »[4].

وقد ورد في روايات المعصومين: أن هناك أعمالاً تنجي من سوء العاقبة ونذكرها

---

(١) سفينة البحار / ج ٥ / ص ١٧١.
(٢) سفينة البحار / ج ٥ / ص ١٧١.
(٣) غرر الحكم للآمدي.
(٤) كنز العمال.

هنا للتبرك والفائدة عسى الله أن يختم لنا بخير:

تعظيم حق الله تعالى وهي عدم بذل نعمائه في معاصيه وعدم الإغترار بحلم الله تعالى وإكرام كل من ينتحل مودة أهل البيت عليهم السلام وقضاء حوائج الإخوان والإحسان إليهم وستر عوراتهم.

أما موجبات سوء العاقبة فهي الكفر وعقوق الوالدين والظلم وقطيعة الرحم ونكران النعمة.

وكم من أُناس عملوا زمناً طويلاً بعمل أهل النار ثم يختم الله تعالى لهم بالسعادة حيث في بدء حياتهم توفرت أسباب شقائهم وسقطوا في منزلق الإنحراف وبعدوا عن الله تعالى وفي أسوأ حالاتهم شملتهم بارقة اللطف الإلهي مثل سحرة فرعون الذين أمضوا حياتهم في أسوأ الأعمال وهو السحر وعندما قابلوا النبي موسى عليه السلام فإذا بهم ينقلبون انقلاباً عجيباً ويواجهون غطرسة فرعون وإجرامه بقولهم ﴿ **فاقض ما أنت قاض** ﴾ والحر بن يزيد الرياحي الذي كان قائداً من قواد عمر بن سعد فتداركته الرحمة الإلهية واللطف الرباني فزحزحته من النار الى الجنة وفاز فوزاً عظيماً حيث قال له سيد شباب أهل الجنة الإمام الحسين عليه السلام: «**أنت والله الحر في الدنيا والآخرة**».

ومخيريق اليهودي الذي أسلم على يد النبي صلى الله عليه وآله وسلم يوم أُحد وسلَّم ما عنده من الأموال الكثيرة ورجع الى ميدان الحرب وأخيراً استشهد وكانت معظم صدقات النبي صلى الله عليه وآله وسلم من مال هذا الشخص.

وبعد حسن الخاتمة يلقّن الامام الداعي أن يسأل الله تعالى أن يكفيه أمر دنياه

وآخرته.

﴿ولا تسلط عليّ من لا يرحمني واجعل عليّ منك واقية باقية ولا تسلبني صالح ما أنعمت به عليّ وارزقني من فضلك رزقاً حلالاً طيباً﴾

سلب الرحمة من قلب العبد عقوبة إلهية وتسليط من لا يرحم على العباد عقوبة إلهية أُخرى من الله تعالى على العصاة من بني البشر وهذه العقوبة الدنيوية سنها الله تعالى على من لم يحكم بما أنزل الله تعالى وعلى الذين لا يأمرون بالمعروف ولا ينتهون عن المنكر والداعي يطلب من الله تعالى أن لا يسلط عليه الظالمين الذين سلبت منهم الرحمة والرأفة ويطلب أن يجعل الله عليه حصناً يقيه ولا يسلب منه النعم التي أنعم بها عليه ويرزقه من فضله رزقاً واسعاً حلالاً طيباً.

﴿اللهم احرسني بحراستك واحفظني بحفظك واكلأني بكلاءتك وارزقني حج بيتك الحرام في عامنا هذا وفي كل عام وزيارة قبر نبيك والأئمة عليهم السلام ولا تخلني يا رب من تلك المشاهد الشريفة والمواقف الكريمة﴾

والكلأ: الحفظ والحراسة.

حتى يتفرغ الإنسان للعبادة يجب أن يكون محروساً ومحفوظاً من الأعداء والأخطار حتى لا ينشغل برد وصد الأعداء والحاسدين وليصفو لله تعالى.

ثم يدعو بأن يرزقه الله تعالى حج البيت الحرام لما للحج من غفران الذنوب وإدرار الرزق ورضا الله عليه والثواب العميم.

ويعطف بعد ذلك على زيارة قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة الميامين: لما لزيارتهم من

الإرتباط القلبي والروحي بالله تعالى وحيث أن حبهم إيمان وبغضهم نفاق فهم: قطب الرحا للدين لأن «**وهل الدين الا حب وبغض**» فلهذا فإن تجديد العهد بزيارة مشاهدهم الشريفة هو تجديد عهد مع دين الله والرسالة السماوية، والإنقطاع عنهم هو جفاء للدين ولهذا يطلب الداعي أن لا يخله الله تعالى من تلك المواقف الكريمة ونحن في الزيارة ندعو عندما نودع الامام اللهم لا تجعله آخر العهد بهذا الموقف لتُشحَذ الهمة ويبقى الإتصال والإرتباط في تجدد واستمرار.

﴿اللهم تب عليّ حتى لا أعصيك وألهمني الخير والعمل به وخشيتك بالليل والنهار ما أبقيتني يا رب العالمين﴾

توبة الله على العبد أن يقبل توبته ويوفقه لعمل الخير والعمل الصالح. أما الخشية فهي شدة الخوف والورع عن محارمه والصد عن معاصيه وجاء في أقوال المعصومين عليهم السلام إخش الله كأنك تراه فإن كنت لا تراه فإنه يراك وتستمر هذه الخشية والخوف من الله تبارك وتعالى الى آخر لحظة من حياة العبد والداعي يطلب ذلك من الله تعالى لأن الخشية أولاً وآخراً توفيق من الله يهبه للعبد.

﴿اللهم إني كلما قلت قد تهيأت وتعبأت وقمت للصلاة بين يديك وناجيتك ألقيت عليّ نعاساً إذا أنا صليت وسلبتني مناجاتك اذا أنا ناجيت ما لي كلما قلت قد صلحت سريرتي وقرب من مجالس التوابين مجلسي عرضت لي بلية أزالت قدمي وحالت بيني وبين خدمتك﴾

تعبأ: تجهز. وهي أن تعبأ للحرب جميع القوى.

السريرة: دخائل النفس وبواطنها.

تُكون الذنوب على القلب حجباً ونكتاً سوداء تمنع القلب من التوجه الى الله تعالى ومن الخشوع ومن النفحات القدسية والقلوب (كما يقول صاحب جامع السعادات) كالأواني فإذا كانت مملوءة بالماء لا يدخلها الهواء فالقلوب المشغولة بغير الله لا تدخلها معرفة الله وحبه وأُنسه وكذلك الله تعالى عندما يرى العبد غير مقبل عليه هو أيضاً يدبر عنه وإدبار الله تعالى عن العبد يتجلى في سلب لذة القرب والمناجاة ولذة المعارف الالهية فالذي يجترحه في النهار من السيئات يحرمه لذيذ مناجاة الله تعالى في الليل أو يحرمه العبادة في ليلة القدر أو يحرم من التوفيق للأعمال الصالحة حيث تكون تلك الذنوب بمثابة الحاجز بين الله والعبد.

لذا كلما يتهيأ الإنسان العاصي للمناجاة و للعبادة يلقي الله تعالى عليه نعاساً ليمنعه ويمنع عنه هذه اللذة والحصول على الكرم الإلهي لعدم استحقاقه له وكلما يظن العبد العاصي أن سريرته قد صلحت وانه نال التوفيق الإلهي بالتوبة يضع الله تعالى في طريقه حجراً أو مانعاً عن مناجاته وخدمته.

﴿سيدي لعلك عن بابك طردتني وعن خدمتك نحيتني أو لعلك رأيتني مستخفاً بحقك فأقصيتني﴾

يورد احتمالات كثيرة لحرمانه من لذيذ الناجاة والصلاة قد يكون طرده الله تبارك وتعالى وقد يكون أبعده عن خدمته فلربما يكون قد استخف بحقه فأبعده عنه وحق الله تعالى كما بينه زين العابدين وسيد الساجدين الامام علي بن الحسين عليه السلام هو **« فأما حق الله الأكبر فإنك تعبده لا تشرك به شيئاً فإذا فعلت ذلك بإخلاص جعل لك عليه**

نفسه أن يكفيك أمر الدنيا والآخرة وأن يحفظ لك ما تحب منه »[1].

والشرك أن يجعل لله تعالى شريكاً وهو ذنب غير قابل للغفران وهو أكبر الذنوب لقول الله تعالى: ﴿ إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ﴾[2]، وأيضاً قوله تعالى: ﴿ إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار ﴾[3].

وللشرك مراتب هي:

١ ـ الشرك في مقام الذات: وهو الإعتقاد بتعدد الأرباب كما تذكر طائفة الثنوية حيث تعتقد بوجود إلهين إله الخيرات (يزدان) وإله الشرور وهو (أهريمن) ومثل ذلك طائفة النصارى القائلين بأصول ثلاثة قديمة (الأب والإبن وروح القدس)[4].

٢ ـ الشرك في مقام الصفات: وهو الإعتقاد بأن الصفات الحقيقية الذاتية الإلهية مثل الحياة والعلم والقدرة والإرادة وأمثال ذلك هي ليست عين الذات وإنما صفات مضافة زائدة ويلزم ذلك بتعدد القدماء.

٣ ـ الشرك في مقام الأفعال وهو أن لا يعتقد بأن المالك والمدبر والمتصرف في جميع عوالم الملك والملكوت هو الله تعالى.

٤ ـ الشرك في مقام الطاعة: أي أن الإعتقاد بأن الله ليس جديراً بالطاعة والإنقياد

---

(١) تحف العقول / ص ١٨٥.

(٢) النساء / ٤٨.

(٣) المائدة / ٧٢.

(٤) الذنوب الكبيرة للسيد دستغيب.

والمعاصي التي ترتكب هي شرك طاعة لأن العبد يطيع الشيطان أو يطيع هواه أو يطيع سلطاناً غير الله.

٥ ـ الشرك في مقام العبادة: اشراك شريك مع الله تعالى في نية العبادة مثل الرياء في العبادات والريا، يخدش القصد فأما تكون النية في العبادة لذلك الشريك أو يشرك مع الله في نيته شريكاً وفي كلا الحالين يعتبر شركاً والعبادة فاسدة.

والإستخفاف معناه الإهانة وعدم الإهتمام أي أن العبد إما أن يستخدم بطاعة الله أو بعبادته أو يستخف بأمور أُخرى هي من صلب التوحيد والنتيجة أن يقصي العبد عن جنابه ويعرض عنه إذا وقف ببابه.

﴿أو لعلك رأيتني معرضاً عنك وقليتني﴾

أعرض عن الشيء صد عنه وقد قال الله تعالى: **﴿ ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكاً ونحشره يوم القيامة أعمى قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً قال كذلك أتتك آياتي فنسيتها وكذلك اليوم تنسى ﴾**[1]، وقـوله: **﴿ فإن له معيشة ضنكاً ﴾**

أي ضيقة وذلك أن من نسي ربه وانقطع عن ذكره لم يبق له إلا أن يتعلق بالدنيا ويجعلها مطلوبه الوحيد الذي يسعى له ويهتم بإصلاح معيشته والتوسع فيها والتمتع منها[2].

والقلو: البغض.

---

(١) طه / ١٢٤ ـ ١٢٦.

(٢) للمزيد راجع تفسير الميزان / ج ١٤.

والذي يعرض عن الله تعالى يكون شغله المعاصي فيبغضه الله تعالى نتيجة لتلك المعاصي.

﴿أو لعلك وجدتني في مقام الكاذبين فرفضتني﴾

الكذاب هو الذي يعتاد الكذب فيكون له عادة والكذب رأس الرذائل لأنه يكون سبباً لها كالرياء والنفاق والفجور وعدم المروءة فعن الامام العسكري عليه السلام قال: «**جعلت الخبائث في بيت وجعل مفتاحه الكذب**»(١) والسبب أن المرء ليعصي الله فيريد أن يغطي على معصيته بين الناس فيكذب فإذا عزم على الصدق يتوجب عليه أن يترك جميع الرذائل حتى لا يكذب.

بالإضافة الى ذلك فإن الكذب يؤدي الى الفقر حيث ورد عن الامام أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «**إعتياد الكذب يورث الفقر**»(٢) ويؤدي الى إفساد المروءة فعن الامام علي عليه السلام قال: «**لا يجتمع الكذب والمروءة**»(٣) وعنه أيضاً عليه السلام: «**من كذب أفسد مروءته**»(٤) لأن المروءة معناها النجدة والنخوة وكمال الرجولة والكذب ضعف وجبن واهتزاز الشخصية والشجاعة والجبن لا يجتمعان في آن واحد.

ويقود الكذب الى فقدان الثقة بالشخص واستهانة الناس به وسخط الله ومقت الملائكة ففي حديث لأمير المؤمنين عليه السلام: «**يكتسب الكاذب بكذبه ثلاثاً سخط الله**

---

(١) بحار الانوار / م ٧٢ / ص ٢٦٣.
(٢) بحار الانوار / م ٧٢ / ص ٢١٦.
(٣) غرر الحكم.
(٤) غرر الحكم.

عليه واستهانة الناس به ومقت الملائكة له »[1].

ثم ان يمحو الايمان فلا عجب بعد ذلك أن الله تبارك وتعالى يرفض الكاذب ويبعده حيث قال تعالى في محكم كتابه: ﴿ **ان الله لا يهدي من هو كاذب كفار** ﴾[2].

وقد أوصى الأئمة: بالتزام الصدق وأداء الأمانة وهما الكاشف عن أخلاق المرء وقال الامام الصادق عليه السلام: « **لا تنظروا الى طول ركوع الرجل وسجوده فإن ذلك شيء قد اعتاده فلو تركه استوحش لذلك ولكن انظروا الى صدق حديثه وأداء أمانته** »[3].

وما يروى عن السيد حسين القمي (الذي كان المرجع الأعلى للشيعة بعد مرجعية السيد أبي الحسن الاصفهاني) عندما راجع إبنه القنصلية الإيرانية في كربلاء ـ في فترة وجوده بالعراق ولكي لا تشمل الإبن الخدمة الإلزامية إدعى أن سنه أقل من سن البلوغ فقال القنصل: بما أنك لم تبلغ سن الرشد فيتوجب على والدك أن يؤيد ذلك، وعرض الإبن على أبيه ذلك فقال القمي بغضب: خسىء أبوك إذا كان يدعي المرجعية ونيابة صاحب الزمان ثم يكذب والله لو كان عندي مئة ولد ووضعوهم في فوهات المدافع ثم طلبوا مني أن أكذب ما كذبت، إن الكذب يمحق الإسلام وموت أبنائي لا ضرر منه عليه[4].

ووجّه كاتبه (كاتب السيد حسين القمي) رسالة تعزية الى أحدهم وذكر: أنني

---

(١) غرر الحكم.

(٢) الزمر / ٣.

(٣) بحار الانوار / م ٧١ / ص ٢.

(٤) السيد حسين القمي رجل الثورة / تأليف محمد باقر پور أميني.

تأثرت بشدة لذلك، فقال لكاتبه: هذا كذب أنا لم أتأثر[1].

﴿أو لعلك رأيتني غير شاكر لنعمائك فحرمتني﴾

الشكر ما أنبأ عن عظمة المنعم سواء كان بالقلب أو باللسان أو بالأركان فالتفكر في عظمته تعالى شكر له وذكره باللسان وفعل الصلاة شكر له أيضاً وقد ورد الشكر في القرآن الكريم بالنسبة اليه تعالى كثيراً منها قوله تعالى: ﴿واشكروا لي ولا تكفرون﴾[2]. وقال أيضاً: ﴿واشكروا الله إن كنتم إياه تعبدون﴾[3]. وقد يكون الشكر من الله تعالى لعباده كقوله تبارك اسمه: ﴿فأُولئك كان سعيهم مشكوراً﴾[4]. وقال الله تعالى: ﴿وكان الله شاكراً عليماً﴾[5]. المراد بشكره تعالى هو الجزاء على الخير سواء كان في الدنيا أو في الآخرة أو فيهما معاً. كما يقع الشكر من الخلق للخلق كقوله تعالى: ﴿أن اشكر لي ولوالديك إليَّ المصير﴾[6].[7]

وقال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «**شكر إلهك بطول الثناء شكر من فوقك بصدق الولاء، شكر نظيرك بحسن الإخاء شكر من دونك بسبب العطاء**»[8]

---

(١) المصدر السابق.

(٢) البقرة / ١٥٢.

(٣) البقرة / ١٧٢.

(٤) الإسراء / ١٩.

(٥) النساء / ١٤٧.

(٦) لقمان / ١٤.

(٧) تفسير مواهب الرحمن للسيد السبزواري / ج ١ / ص ٢٧.

(٨) غرر الحكم للآمدي.

أما حقيقة الشكر فهو استعمال النعمة بنحو يذكر أنعام المنعم ويظهر إحسانه ويأول في مورد الله تعالى الى الإيمان به والتقوى[1] وقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: « **شكر النعمة اجتناب المحارم وتمام الشكر قول الرجل الحمد لله رب العالمين** »[2].

وعن الامام أمير المؤمنين عليه السلام: « **شكر كل نعمة الورع عما حرم الله** »[3]، وقال الامام عليه السلام: « **من أنعم الله عليه بنعمة فعرفها بقلبه فقد أدى شكرها** »[4].

أما بالنسبة لشكر الخلق على معروفهم فيقول الامام زين العابدين عليه السلام في رسالة الحقوق: « **أما حق ذي المعروف عليك فأن تشكره وتذكر معروفه وتنشر له المقالة الحسنة وتخلص له الدعاء فيما بينك وبين الله سبحانه فإنك إذا فعلت ذلك كنت قد شكرته سراً وعلانية ثم إن أمكن مكافأته بالفعل كافأته والا كنت مرصداً له موطناً نفسك عليها (أي المكافأة)** »[5]، وعدم الشكر فيؤدي الى هروب النعم وعدم دوامها بل ليس هذا فقط وإنما تكون النعم وبالاً على الجاحد لها حيث يقول أمير المؤمنين عليه السلام: « **شكر النعمة أمان من حلول النقمة** »[6] و « **الشكر عصمة من الفتنة** »[7]، وعن الصادق عليه السلام: « **إن الله**

---

(١) تفسير الميزان / ج ١٢ / ص ٢٢.
(٢) البحار / ج ٧١ / ص ٤٠.
(٣) الكافي / ج ٢ / ص ٩٦.
(٤) الكافي / ج ٢ / ص ٩٦.
(٥) تحف العقول / ص ١٩٠.
(٦) غرر الحكم.
(٧) بحار الانوار / م ٨٧ / ص ٣٦٥.

عز وجل أنعم على قوم بالمواهب فلم يشكروا فصارت عليهم وبالاً وابتلى قوم بالمصائب فصبروا فصارت عليهم نعماً»[1]، وقال الامام الجواد عليه السلام: «**نعمة لا تشكر كسيئة لا تغفر**»[2].

إذن عدم الشكر يوجب فقدان النعمة والحرمان منها وإقبال الله على العبد نعمة وأي نعمة والداعي يحس بفقدان هذه النعمة فيتسائل هل فرط في شكر هذه النعمة حتى يكون جزاءه الحرمان وفي خلال ذلك كله يتهم نفسه بالتقصير.

﴿أو لعلك فقدتني من مجالس العلماء فخذلتني﴾

الإحتمال الذي يورده الداعي هو أن يكون رب العالمين عاقبه لفقدانه من مجالس العلم والعلماء.

وتعريف العلم هو حضور أو انطباع صورة الشيء في الذهن[3].

أما أنواع العلوم النافعة فقد حصرها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في ثلاث فقال: «**إنما العلم ثلاثة آية محكمة أو فريضة عادلة أو سنة قائمة وما خلاهن فهو فضل**»[4].

وقد فسر العلماء الأعاظم هذه الأقسام الثلاثة من العلوم بكما يلي:

١ ـ الآية المحكمة: هي العلوم العقلية والعقائد الحقة والمعارف الإلهية.

٢ ـ الفريضة العادلة: عبارة عن علم الأخلاق وتطهير القلوب.

---

(١) البحار / م ٧١ / ص ٢١.

(٢) بحار الانوار / م ٧٨ / ص ٣٦٤.

(٣) المنطق / محمد رضا المظفر.

(٤) أصول الكافي / م ١.

٣ ـ السنة القائمة: العلوم التعبدية والآداب الشرعية التي يعبر عنها بالسنة (فعل المعصوم وقوله وتقريره)[١].

ولعل الحديث التالي للإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام يوضح حديث جده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم السابق وفيه يقول عليه السلام: «**أولى العلم بك ما لا يصلح لك العمل الا به وأوجب العمل عليك ما أنت مسؤول عن العمل به وألزم العلم لك ما دلك على صلاح قلبك وأظهر لك فساده وأحمد العلم عاقبة ما زاد في علمك العاجل فلا تشغلن بعلم ما لا يضرك جهله ولا تغفلن عن علم ما يزيد في جهلك تركه**»[٢].

أما فضل طلب العلم فنذكر حديثاً عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حيث يقول: «**من سلك طريقاً يطلب فيه علماً سلك الله به طريقاً الى الجنة وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضاً به وإنه يستغفر لطالب العلم من في السماء ومن في الأرض حتى الحوت في البحر وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر النجوم ليلة البدر وإن العلماء ورثة الأنبياء وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً ولكن ورثوا العلم فمن أخذ منه أخذ بحظ وافر**»[٣].

وللعلم موانع وآفات منها:

١ ـ العجب والكبرياء، قال الله تعالى: ﴿ إن الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا

---

(١) الأربعون حديثاً للإمام الخميني / ص ٣٥٩.

(٢) البحار / م ١ / ص ٢١٨.

(٣) أصول الكافي / ج ١.

تفتح لهم أبواب السماء ﴾[1]، وقال الامام الرضا عليه السلام عن الامام أمير المؤمنين عليه السلام: «وحسبك من الجهل أن تعجب بعلمك»[2]. وقال الامام الصادق عليه السلام: «العجب صارف عن طلب العلم داع الى الغمط والجهل»[3].

٢ ـ الطمع: ففي وصية الامام الكاظم عليه السلام لهشام بن الحكم: «يا هشام إياك والطمع فإن الطمع مفتاح الذل واختلاس العقل واختلاق المروات وتدنيس العرض والذهاب بالعلم»[4].

٣ ـ الغضب: قال أمير المؤمنين عليه السلام: «غير منتفع بالحكمة عقل مغلول بالغضب والشهوة»[5].

٤ ـ الإكراه: قال الامام علي عليه السلام: «فإن القلب إذا كره عمي»[6].

٥ ـ عدم العمل بالعلم: قال الامام الصادق عليه السلام: «تعلموا ما شئتم إن تعملوا فلن ينفعكم الله بالعلم حتى تعملوا به وإن العلماء همتهم الرعاية والسفهاء همّتهم الرواية»[7].

---

(١) الأعراف / ٤٠.
(٢) الوسائل / ج ١ / ص ٧٩.
(٣) مستدرك الوسائل / ج ٢ ص ١٧.
(٤) تحف العقول / ص ٢٩٤.
(٥) غرر الحكم.
(٦) نهج البلاغة.
(٧) بحار الانوار / م ٢ / ص ٣٧.

٦ ـ فقدان التقوى: قال الامام علي عليه السلام: « **إذا أرذل الله عبداً حظر عليه العلم** »[1].

وقال الشاعر:

شكوت الى وكيع سوء حفظي   فأرشدني الى ترك المعاصي
وقال لأن حفظ العلم فضل   وفضل الله لا يؤتيه عاصي

أما صفات العالم الذي يجب على الناس اتباعه فمنها:

١ ـ الورع والتقى، فعن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: « **إنما العالم من دعاه علمه الى الورع والتقى والزهد في عالم الفناء والتوله بجنة المأوى** »[2].

٢ ـ التواضع وعدم الحسد، قال أمير المؤمنين عليه السلام: « **لا يكون العبد عالماً حتى لا يكون حاسداً لمن فوقه ولا محقراً لما دونه** »[3].

٣ ـ الرشد والصواب: قال أمير المؤمنين عليه السلام « **لا يكون السفه والغرّة في قلب العالم** »[4].

٤ ـ مجانبة الهوى: حيث قال الامام الحجة (أرواحنا له الفداء) بشروط المجتهد الجامع للشرائط « **صائناً لنفسه حافظاً لدينه مخالفاً لهواه مطيعاً لأمر مولاه** ».

٥ ـ العمل بالعلم، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: « **ألا وإن العالم من يعمل بالعلم وإن كان**

---

(١) بحار الانوار / ج ١ / ص ١٩٦.

(٢) غرر الحكم.

(٣) تحف العقول / ص ٢١٤.

(٤) الكافي / ج ١ / ص ٣٦.

قليل العمل »[١].

وللعلماء حقوق فعن أمير المؤمنين عليه السلام قال: « إن من حق العالم عليك أن تسلم على القوم عامةً وتخصه دونهم بالتحية وأن تجلس أمامه ولا تشيرنَّ عنده بيدك ولا تغمزنَّ بعينيك ولا تقولنَّ: قال: فلان خلافاً لقوله. ولا تغتابنَّ عنده أحداً ولا تسارَّ في مجلسه ولا تأخذه بثوبه ولا تلج عليه إذا مل ولا تُعرض من طول صحبته فإنما هي بمنزلة النخلة تنتظر متى يسقط عليك منها شيء فإن المؤمن العالم لأعظم أجراً من الصائم القائم الغازي في سبيل الله فإذا مات العالم إنثلمت في الإسلام ثلمة لا يسدها شيء الى يوم القيامة »[٢].

وعن الامام زين العابدين عليه السلام: « حق سائسك بالعلم التعظيم له والتوقير لمجلسه وحسن الإستماع إليه والإقبال عليه وأن لا ترفع عليه صوتك ولا تجيب أحداً يسأله عن شيء حتى يكون هو الذي يجيب ولا تحدث في مجلسه أحداً ولا تغتاب عنده أحداً وأن تدفع عنه إذا ذكر عندك بسوء وأن تستر عيوبه وتظهر مناقبه ولا تجالس له عدواً ولا تعادي له ولياً فإذا فعلت ذلك شهدلك ملائكة الله بأنك قصدته وتعلمت علمه لله جل اسمه لا للناس »[٣].

أما حق المتعلم على المعلم، فعن الامام زين العابدين عليه السلام قال: « أما حق رعيتك بالعلم فإن تعلم أن الله عز وجل إنما جعلك قيماً لهم فيما آتاك الله من العلم وفتح لك من خزائنه فإن أحسنت في تعليم الناس ولم تخرق بهم ولم تضجر عليهم زادك الله من فضله

---

(١) بحار الانوار / ٧٦ / ص ٣٧٣.

(٢) كنز العمال.

(٣) تحف العقول.

وإن أنت منعت الناس علمك وخرقت بهم عند طلبهم العلم كان حقاً على الله عز وجل أن يسلبك العلم وبهاءه ويسقط من القلوب محلك»[(١)].

ومما جاء في آداب التعلم والتفقه من النظم ما ينسب الى اللؤلؤي:

واعــلم بأن العـلم بـالتعلم — والحـفظ والإتـقان والتـفهم
والعـلم قـد يـرزقه الصغيرُ — فـي سـنه ويـحرمُ الكـبيرُ
فـإنما المـرء بأصـغريه — ليس بـرجـليه ولا يـديهِ
لسـانه وقـلبه المـركبُ — في صـدره وذاك خـلق عـجب
والعـلم بـالفهم وبـالمذاكـرة — والدرس والفكـرة والمـناظرة
فـرب إنسـان يـنال الحـفظا — ويـورد النـص ويـحكي اللـفظا
ومـا له فـي غـيره نـصيب — مـما حـواه العـالم الأريبُ
فالتمس العلم وأجمل في الطلب — والعـلم لا يـحسن الا بـالأدب
والأدب النـافع حـسن الصـمت — وفي كثير القـول بـعض المـقت
فكن لحسن الصمت مـا حـيتا — مـقارفاً تـحمدُ مـا بـقيتا
وإن بـدت بـين أنـاسٍ مسألة — مـعروفة فـي العـلم أو مـفتعلة
فـلا تكـن الى الجـواب سـابقاً — حتى تـرى غـيرك فـيها نـاطقا
فكـم رأيت مـن عـجول سـابق — مـن غـير فـهم بـالخطاء نـاطق
أزرى بـه ذلك فـي المـجالس — عـند ذوي الألبـاب والتـنافسِ

---

(١) تحف العقول.

والصمت فاعلم بك حقاً أزين إن لم يكن عندك علم متقن
وقل إذا أعياك ذاك الأمرُ ما لي بما تسألُ عنه خبرُ
فذاك شطرُ العلم عند العلما كذاك ما زلت تقول الحكما
إياك والعجب بفضل رأيكا واحذر جواب القول مع خطائكا
كم من جواب أعقب الندامة فاغتنم الصمت مع السلامة
العلم بحرٌ منتهاه يبعدُ ليس له حدٌّ اليه يقصدُ
وليس كل العلم قد حويته أجل ولا العشر ولو أحصيته
وما بقي عليك منه أكثر مما علمت والجواد يعثرُ
فكن لما سمعته مستفهما ان أنت لاتفهم منه الكلما
القول قولان فقول تعقله وآخر تسمعه فتجهله
وللكلام أول وآخرُ فافهمهما والذهن منك حاضرُ
لا تدفع القول ولا ترده حتى يؤديك الى ما بعده
فربما أعيى ذوي الفضايلِ جواب ما يُلقى من المسائلِ
فيمسكوا بالصمت عن جوابه عند اعتراض الشك في جوابه
ولو يكون القول في القياس من فضة بيضاء عند الناسِ
إذاً لكان الصمت من عين الذهب فافهم هداك الله آداب الطلب

وبعد فإن من علامة بغض الله للعبد أن يبغض إليه العلم ومن يبتعد عن مجالس العلم والعلماء فإن الله خاذله وسالبه نصرته.

﴿أو لعلك رأيتني في الغافلين فمن رحمتك آيستني﴾

الغفلة تعني عدم حضور القلب وعدم التذكر كما ان الذكر يعني حضور القلب والتذكر والقلب الغافل عن الخالق في تلك الحالة مستور عن الله[١].

لم ينه الله تعالى عن أصل الغفلة وإنما نهى عن الدخول في زمرة الغافلين وهم الموصوفون بالغفلة الذين استقرت فيهم هذه الصفة[٢] وفي قوله تعالى: ﴿ وهم في غفلة معرضون ﴾ ذلك أنهم تعلقوا بالدنيا واشتغلوا بالتمتع فامتلأت قلوبهم من حبها فلم يبق فيها فراغ يقع فيه ذكر الحساب وقوعاً تتأثر به حتى أنهم لو ذُكّروا لم يذكروا وهو الغفلة فإن الشيء كما يكون مغفولاً عنه لعدم تصوره من أصله قد يكون مغفولاً عنه لعدم تصوره كما هو حقه بحيث تتأثر النفس به[٣].

وللغفلة أسباب بيّنها حديث الامام علي زين العابدين عليه السلام إذ يقول: «**إعلم ـويحك ـ يا ابن آدم أن قوة البطنة وفطرة الميلة وسكر الشبع وعزة الملك مما يثبط ويبطىء عن العمل ويُنسي الذكر ويلهي عن اقتراب الأجل حتى كأن المبتلي بحب الدنيا به خبل من سكر الشراب**»[٤].

والبطنة ـ بالكسر ـ هو الإمتلاء الشديد من الطعام. الميلة: الرغبة. العزة: الحمية والغلبة.

وللغفلة آثارٌ منها:

---

(١) القلب السليم للشهيد دستغيب / ص ٥٢.

(٢) الميزان في تفسير القرآن / م ٨ / ص ٣٨٣.

(٣) الميزان في تفسير القرآن / م ١٤ / ص ٢٦٤.

(٤) تحف العقول / ص ١٩٦.

١ ـ الجهل: قال الامام أمير المؤمنين عليه السلام: « **من غفل جهل** »[١].

٢ ـ قساوة القلب وموته: قال الامام الباقر عليه السلام: « **إياك والغفلة ففيها تكون قساوة القلب** »[٢].

٣ ـ فساد الأعمال: قال الامام علي عليه السلام: « **إياك والغفلة والإغترار بالمهلة فإن الغفلة تفسد الأعمال** »[٣].

أما دواء الغفلة فهو:

١ ـ ذكر الله حيث قال أمير المؤمنين عليه السلام: « **بدوام ذكر الله تنجاب الغفلة** »[٤].

٢ ـ ذكر الموت: قال الامام أمير المؤمنين عليه السلام: « **ألا منتبه من رقدته قبل حين منيته** »[٥]، ولقد كان العلماء الأعلام يخشون من غفلة قلوبهم فإذا أحسوا الغفلة أو الفتور ذهبوا الى المقابر بل أن منهم من حفر له قبراً يزوره كل يوم وينام فيه ويستحضر في ذهنه سؤال منكر ونكير في جو موحش لئلا يغفل.

٣ ـ الصلوات الخمس: قال الامام الباقر عليه السلام: « **أيُّما مؤمن حافظ على صلواته المفروضة فصلاها لوقتها فليس هذا من الغافلين** »[٦].

على أن للصلاة شروطاً غير الوقت وهو حضور القلب والا ما فائدة الصلاة بلب

---

(١) غرر الحكم.
(٢) بحار الانوار / م ٧٨ / ص ١٦٤.
(٣) غرر الحكم.
(٤) غرر الحكم.
(٥) غرر الحكم.
(٦) نوادر الراوندي / ج ٢ / ص ١١٥.

منشغل. ومن وصية لقمان الحكيم لابنه: «... وفي الصلاة احفظ قلبك».

٤ ـ قراءة القرآن الكريم حيث قال الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم: **«إن هذه القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد»** قيل: يا رسول الله وما جلاؤها؟ قال: **«تلاوة القرآن»**[1].

٥ ـ الإقتداء بالصالحين ومصاحبتهم ومجالسة المجاهدين المرتاضين ولله در أمير المؤمنين عليه السلام حيث يخاطب الناس بقوله: **«ما لي أراكم أشباحاً بلا أرواح وأرواحاً بلا أشباح ونساكاً بلا صلاح وتجاراً بلا أرباح وأيقاظاً نوّماً وشهوداً غيباً وناظرة عمياء»**[2].

والغفلة لها أنواع هي:

١ ـ الغفلة عن الرقباء الذين يراقبون خلوة الإنسان.

٢ ـ الغفلة عن سخط الله تعالى.

٣ ـ الغفلة عن نفسه واستعداداته وكمالاته التي يمكن أن تحصل له ويحرم بالتغافل عن الكمالات وتضاع تلك الإستعدادات.

٤ ـ الغفلة عن العمر الذي يكون ذخراً وشرفاً أي شرف.

٥ ـ الغفلة عن القبر والقيامة وعن الجنة والنار.

٦ ـ الغفلة عن النعم الإلهية ظاهرية وباطنية.

٧ ـ الغفلة عن الشكر.

٨ ـ الغفلة عن الشيطان العدو المبين.

---

(١) كنز العمال.

(٢) نهج البلاغة / ج ٧ / ص ١٨٧.

٩ ـ الغفلة عن الله تعالى وعن عبوديته.

١٠ ـ الغفلة عن الرسول وإطاعته ثم الغفلة عن العترة ومتابعتهم[١].

﴿أو لعلك رأيتني آلف مجالس البطالين فبيني وبينهم باعدتني﴾

تبطل في اللغة: تعطل عن العمل وبطالة في كلامه: هزل. وأبطل: أتى الباطل، وكذب فهو مبطل ومجالس البطالين قدتكون المجالس التي تعطلت عن ذكر الله أو مجالس الهزل والباطل والكذب وتشملها لها. وهناك جملة مجالس نهانا الله تعالى في كتابه الكريم عنها ونهانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عنها، ففي كتاب الله يقول جل وعلا في سورة العنكبوت: ﴿ إنكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل وتأتون فيناديكم المنكر ﴾[٢] في سياق قصة لوط عليه السلام حيث أن المقصود هنا بإتيان المنكر في النادي أن مجالسهم كانت تشتمل على أنواع المنكرات والقبائح مثل الشتم والسخف والعمار وخذف الأحجار على من مر بهم وضرب المعازف والمزامير وكشف العورات واللواط ونحو ذلك[٣].

وكذلك قال الله تعالى: ﴿ وقد نزَّل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزء بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره ﴾[٤]. وقال أيضاً: ﴿ وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره

---

(١) الاخلاق / الشيخ حسين المظاهري.

(٢) العنكبوت / ٢٩.

(٣) تفسير الميزان / م ١٦ / ص ١٢٣.

(٤) النساء / ١٤٠.

وإما ينسينك الشيطان فلا تعقد بعد الذكرى مع القوم الظالمين ﴾[1]. وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يجلس في مجلس يسب فيها إمام أو يغتاب فيه مسلم إن الله يقول في كتابه: (وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره وإمّا ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين ﴾ »[2]. وقال أمير المؤمنين علي عليه السلام: « لا تجلسوا على مائدة يشرب عليها الخمر فإن العبد لا يدري متى يؤخذ »[3] وقال الامام الصادق عليه السلام: « لا ينبغي للمؤمن أن يجلس مجلساً يعصى الله فيه ولا يقدر على تغييره »[4].

يُذكّر الامام الداعي أنه ربما رآه الله تعالى يألف مجالس البطالة والمجالس الخالية من ذكر الله فلم يصده بغضاً له.

﴿أو لعلك لم تحب أن تسمع دعائي فباعدتني﴾

إذا مقت الله تعالى عبداً سلبه مناجاته ودعائه وهناك أُموراً تمنع استجابة الدعاء حتى لو كان هذا الدعاء في وقت يستحب فيه الدعاء أو في مكان مقدس ومن هذه الأُمور:

١ ـ الذنوب: فمن شأنها أن تمنع الإستجابة وقد قال الامام الباقر عليه السلام: « إن العبد ليسأل الحاجة فيكون من شأنه قضاؤها الى أجل قريب أو الى وقت بطيء فيذنب العبد ذنباً

---

(١) الانعام / ٦٨.

(٢) بحار الانوار / م ٧٥ / ص ٢٤٦.

(٣) الكافي / ج ٢ / ص ٣٧٨.

(٤) الكافي / ج ٢ / ص ٣٧٤.

فيقول الله تبارك وتعالى للملك لا تقض حاجته واحرمه إياها فإنه تعرض لسخطي واستوجب حرماني»[1]، والذنوب لها دور كبير في حجب الإنسان عن الله تعالى إذ بسببها يمنع الإقبال والتوجه الى الله تعالى ويمنع الخشوع.

٢ ـ المكسب الحرام: حيث أن لقمة الحرام تمنع استجابة الدعاء أربعين يوماً. وقد روي أن موسى عليه السلام رأى رجلاً يتضرع تضرعاً عظيماً ويدعو رافعاً يديه ويبتهل فأوحى الله الى موسى: «**لو فعل كذا وكذا لما استجبت دعاءه لأن في بطنه حراماً وعلى ظهره حراماً وفي بيته حراماً**»[2].

وفي الحديث القدسي: «**فمنك الدعاء وعليَّ الإجابة فلا تحجب عني دعوة الا دعوة آكل الحرام**».

٣ ـ مناقضة الدعاء للحكمة الإلهية، فعن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «**إن كرم الله لا ينقض حكمته فلذلك لا تقع الإجابة في كل دعوة**»[3].

وكمثال على أن الدعاء الذي ليس فيه صلاح لا يستجاب، روي أن أحد علماء اصفهان مع تجمع آخرين أرادوا الذهاب الى الحج فتحركوا من اصفهان حتى وصلوا الى بوشهر (الميناء المطل على الخليج) للسفر بحراً الى الحجاز ولما وصلوا الى بوشهر رفض البريطانيون (الذين كانوا يسيطرون على المنطقة والخليج) السماح لهم بالسفر واستقلال السفينة كما رفضوا منحهم سمة خروج الى الحجاز واغتموا كثيراً

---

(١) بحار الانوار / ج ٧٣ / ص ٣٢٩.
(٢) البحار / ج ٩٣ / ص ٣٧٢.
(٣) البحار / ج ٩٣ / ص ٣٧٣.

حيث تحمّلوا مشاق السفر وساروا قرابة الشهر ثم بقوا في مسجد المنطقة يتوسلون بسيد الشهداء عليه السلام كل ليلة ويختمون توسلهم بالآية الشريفة ﴿ أمّن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ﴾ ، وفي أحد الأيام جاء مبعوث القنصلية البريطانية يبحث عنهم وقال لهم: تعالوا لإستلام سمة الخروج ، فذهب الجميع فرحين مستبشرين وتسلموا إجازة خروجهم وتحركوا نحو مقصدهم وبعد أشهر رجع أحدهم بحالةٍ يرثى لها حيث ابتلي الجميع بقطاع طرق سلبوهم جميع أموالهم ثم أصابهم مرض أهلك الجميع وبقي الشخص وحده حيث ، أن سبب عدم قضاء حاجتهم في أن حاجتهم ليس فيها صلاح لهم ثم لما زاد إصرارهم عن الحد قضيت لكنها كانت في غير مصلحتهم.

﴿أو لعلك بجرمي وجريرتي كافيتني ﴾

الامام يوحي للداعي بأن سبب عدم قبول الله له وعدم صلاح أمره لعله ناشيء عن كثرة ذنوبه ومعاصيه فيؤاخذه الله تعالى على تلك المعاصي.

﴿أو لعلك بقلة حيائي منك جازيتني ﴾

يوضح الامام لنا بأنه من الذنوب التي تحبس الدعاء استعمال البذاء والفحش في القول وهذه الصفة نتيجة لقلة الحياء وقد مقت الله تعالى العبد الفحاش عديم الحياء ، فعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « **من ألقى جلباب الحياء لا غيبة له** »[1] ، ونتيجة لمقت الله تعالى للعبد لقلة حيائه فإنه يجازيه بأن يمنعه من دعائه بل أن الجنة محرمة على كل

---

(١) الكافي / ج ٢ / ص ٣٢٣.

فحاش بذيء كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إن الله حرم الجنة على كل فحاش بذيء قليل الحياء لا يبالي بما قال ولا ما قيل له فإنك إن فتشته لم تجده الا لغية أو شرك شيطان»[1] واللغية: كثير اللغو.

﴿فإن عفوت يا رب فطالما عفوت عن المذنبين قبلي لأن كرمك أي رب يجل عن مكافأه المقصرين وأنا عائذ بفضلك هارب منك اليك متنجز ما وعدت من الصفح عمن أحسن بك ظناً ـ إلهي ـ أنت أوسع فضلاً وأعظم حلماً من أن تقايسني بعملي أو أن تستزلني بخطيئتي وما أنا يا سيدي وما خطري هبني بفضلك وتصدق عليّ بعفوك وجلّلني بسترك واعف عن توبيخي بكرم وجهك﴾

بعد أن يعرض الداعي ذنوبه وخطاياه أمام ربه يطلب العفو منه وطالما عفا عن المذنبين قبله لكرم الله الواسع الذي يرتفع عن مكافأة المقصرين ويعوذ بفضل الله ويهرب من غضبه الى رحمته ويطلب إنجاز وعده بالصفح لأنه أحسن الظن بالله ثم يخاطب الله تعالى بأنه أوسع فضلاً وأعظم حلماً من أن يقارنه بعمله أو يستزله بخطيئته. ويلاحظ أن هذه الفقرة قد تكررت بالدعاء وذلك لبيان الإلحاح في الدعاء وسبب الإلحاح أن الداعي لا يقطع الأمل بربه بل يظل يدعو مرة بعد أُخرى ويتوقع الفرج قريب، وقد ورد الإلحاح في الدعاء في روايات المعصومين:، فعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: **«إن الله يحب الملحين في الدعاء»**[2]، وقال أيضاً صلى الله عليه وآله وسلم: **«إن الله يحب**

---

(١) بحار الانوار / ج ٧٧ / ص ٢١١.

(٢) بحار الانوار / ج ٩٣ / ص ٣٠٠.

السائل اللحوح»[1]، وعن الباقر عليه السلام قال: «إن الله كره إلحاح الناس بعضهم على بعض في المسألة وأحب ذلك لنفسه»[2]، وعلى هذا فالداعي لا يقطع الأمل بربه في استجابة دعائه وإعطائه سؤله.

﴿سيدي أنا الصغير الذي ربيته وأنا الجاهل الذي علمته وأنا الضال الذي هديته وأنا الوضيع الذي رفعته وأنا الخائب الذي آمنته والجائع الذي أشبعته والعطشان الذي أرويته والعاري الذي كسوته والفقير الذي أغنيته والضعيف الذي قويته والذليل الذي أعززته والسقيم الذي شفيته والسائل الذي أعطيته والمذنب الذي سترته والخاطىء الذي أقلته وأنا القليل الذي كثرته والمستضعف الذي نصرته وأنا الطريد الذي آويته﴾

الضال: ضد اهتدى أي جار عن الدين أو الحق.

الوضيع: الدنيء من الناس.

السقيم: المريض.

المستضعف: الظاهر الضعف.

في هذا المتطع من الدعاء يلقي الداعي الضوء على جزء من نعم الله تعالى وهو لولا تلك النعم لما أصبح له كيان ووجود وقوة خلا حول الله وقوته. حيث خلق الله الخلق ونفوسهم خالية من المعلومات المحروزة فيما بعد وكذلك يولد الإنسان وهو لا يملك مالاً ولا منصباً أو مركزاً اجتماعياً ومفتقر الى القوة والنصرة فيضيف له الله

---

(١) بحار الانوار / ج ٩٣ / ص ٣٧٤.

(٢) بحار الانوار / ج ٩٣ / ص ٣٧٤.

تعالى العلم والقوة والعز والأمان ويهديه سواء السبيل ويشبع حاجاته المادية مثل حاجته الى الطعام والشراب والكساء وحاجته الى المال وغيرها من الإفاضات الإلهية المادية والمعنوية وليس هذا فقط بل أن سعة رحمته وكرمه الفياض لا يقف عند هذا الحد بل يتعدى الى الستر وإقالته من خطاياه وهدايته وتوفيقه الى الصالح من الأعمال التي توصله الى الجنة والخلود المقيم. وعلى هذا فالإنسان المجرد من القوة والعلم والهداية الرفعة والعز والأمان والنصرة والستر والشفاء والذي يحتاج الطعام والشراب والكساء والمأوى والرعاية هذا الإنسان يهفو الى الكمال ولما كان هو محتاج وناقص فإن مركز اهتمامه ومحور استقطابه الى الكامل والقادر والكافي فهو يرفع حاجته الى الذي تسببت بلطفه الأسباب والى الذي تذل لقدرته الصعاب لأن كل الأشياء المادية المعنوية التي تكمل نقص العبد مؤتمرة بمشيئة الله تعالى وقدرته وليس هذا فقط لكن إحسانه قديم وعطاءه بكل مسألة يجعل العبد يهفو لله (جلت قدرته).

﴿أنا يا رب الذي لم أستحيك في الخلاء ولم أراقبك في الملأ أنا صاحب الدواهي العظمى أنا الذي على سيده اجترىء أنا الذي عصيت جبار السماء﴾

بعد بيان نعم الله أو جزء منها يبدأ ببيان جرائمه أمام الله تعالى والإنسان لا يعترف بخطاياه أمام الناس أو أمام أحد، أما أمام الله تعالى وفي جوف الليل فينهار الصرح الذي يستر نفسه به من العيون ويتداعى أمام سيده لأن سيده مطلع على السرائر وبعد فهو أستر الساترين.

وهنا يلقّن الامام العبد بالإعتراف بأنه لم يستح من الله تعالى في الخلاء ولم يراقبه

وهو مع الناس.

والحياء في الخلاء هو غاية الإيمان لأنه يعصم الإنسان من الذنوب حيث المراقب الله تعالى والملائكة، فالإنسان المؤمن حق الإيمان لا يمنعه وجود الناس من المعصية لكن يمنعه إحساسه بمراقبة الله تعالى له فيمتنع عن الموبقات حتى في عدم وجود الناس. وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في وصيته لأبي ذر الغفاري رحمه الله أنه قال: «**يا أبا ذر استح من الله فإني والذي نفسي بيده لأظل حين أذهب الى الغائط متقنعاً بثوبي أستحي من الملكين اللذين معي**»[1].

وعن الامام الكاظم عليه السلام قال: «**استحيوا من الله في سرائركم كما تستحيون من الناس في علانيتكم**»[2].

أما المراقبة فتعني أن العبد يراقب كل حركة منه أهي لله أم للهوى فإن النفس إن تُركت طغت وفسدت ثم يراقب الله في كل حركة وسكون حيث يعلم أن الله مطلع على السرائر عالم بالضمائر. وللمراقبة آداب من بينها:

١ ـ المعرفة: فقد قال أبو حامد الغزالي[3]: «النظر الأول للمراقب نظره في الهمّة والحركة أهي لله تعالى أم للهوى وأقل ما ينكشف له في حركاته أن يكون مباحاً

---

(١) بحار الانوار / ج ٧٧ / ص ٨٣.

(٢) بحار الانوار / ج ٧٨ / ص ٣٠٩.

(٣) أبو حامدالغزالي: (١٠٥٨ ـ ١١١١) متكلم وفيلسوف، أشهر كتبه (إحياء علوم الدين) و (المنقذ من الضلال) و (تهافت الفلاسفة).

ولكنه لا يعنيه فيتركه لقوله صلى الله عليه وآله وسلم : **من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه »**[1].

٢ ـ إحصاء المساوىء حيث قال أمير المؤمنين عليه السلام : « **على العاقل أن يحصي على نفسه مساويها في الدين والرأي والأخلاق والأدب فيجمع ذلك في صورة أو كتاب ويعمل في إزالتها »**[2].

٣ ـ تقسيم الساعات ، قال الامام أمير المؤمنين عليه السلام : « **للمؤمن ثلاث ساعات : فساعة يناجي فيها ربه وساعة يروم فيها معايشه وساعة يُخلي فيها بين نفسه ولذتها فيما يحل ويجمل »**[3].

٤ ـ إفتتاح الأعمال واختتامها بالخير فعن أبي ذر الغفاري : يومك جملك إذا أخذت برأسه أتاك ذنبه يعني إذا كنت من أول النهار في خير لم تزل فيه الى آخره[4].

٥ ـ المحاسبة والمعاقبة والمجاهدة والمعاتبة : والمحاسبة تعني مراجعة الإنسان لنفسه في كل يوم فإذا كان قد عمل حسناً استزاده وإن عمل شيئاً استغفر الله منه وتاب اليه كما في رواية للإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام [5] وعن طلحة قال : « انطلق رجل ذات يوم فنزع ثيابه وتمرغ في الرمضاء وكان يقول لنفسه ذوقي وعذاب جهنم أشد حراً أجيفة في الليل بطّالة في النهار . قال : فبينما هو كذلك إذ أبصر النبي صلى الله عليه وآله وسلم

---

(١) المحجة البيضاء / ج ٨ / ص ١٦٢ .
(٢) بحار الانوار / ج ٧٨ / ص ٦ .
(٣) شرح نهج البلاغة / ج ١٩ / ص ٣٣٨ .
(٤) بحار الانوار / ج ٧٣ / ص ١٢٤ .
(٥) الكافي / ج ٢ / ص ١٢٤ .

في ظل شجرة فأتاه فقال: غلبتني نفسي، فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم: **ألم يكن لك بد من الذي صنعته؟ أما لقد فتحت لك أبواب السماء وباهى الله عز وجل بك الملائكة، ثم قال لأصحابه: تزودوا من أخيكم فجعل الرجل يقول له يا فلان أُدع لي**»[1]. أما المجاهدة فهي هزيمة جند الهوى وعقل النفس الأمارة بالسوء وسلاح ذلك الإفتقار الى الله والخشوع والجوع والظمأ بالنهار والسهر بالليل.

﴿ أنا الذي أعطيت على المعاصي جليل الرّشا أنا الذي حين بُشرت بها خرجت اليها أسعى أنا الذي أمهلتني فيما ارعويت وسترت عليّ فما استحييت وعملت بالمعاصي فتعديت وأسقطتني من عينك فما باليت ﴾

ويظل العبدُ منّا يعدد معاصيه وخطاياه ويعترف بذنوبه بصيغة الإعتذار حيث لا يتنصل من فعله وكما قال الله تعالى: ﴿ وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً عسى الله أن يتوب عليهم ﴾[2]. وكما قال الامام أمير المؤمنين عليه السلام: «**حسن الإعتراف يهدم الإقتراف**»[3]. ويظل الداعي من خلال هذه الفقرة ينسب الى نفسه أن أعطى على المعاصي الكثير من الرُشا (جمع رشوة) وهو الذي من بعدما بُشر بجهنم لم يبال خرج اليها يسعى ولم يرعو من إمهال الله تعالى له وستره ولم يستح أو يبال بعدما أسقطه من عينه.

﴿ فبحلمك أمهلتني وبسترك سترتني حتى كأنك أغفلتني ومن عقوبات

---

(١) المحجة البيضاء / ج ٨ / ص ١٦٨.

(٢) التوبة / ١٠٢.

(٣) غرر الحكم.

المعاصي جنبتني حتى كأنك استحييتني ﴾

وهكذا يلهمُ الإمامُ العبدَ الاعتراف بأفضال الله تعالى عليه وهو العاصي حيث أمله بحلمه وستره بستره وجنبه عقوباته وهو إذ ينسب لنفسه العصيان كأنه يتبرأ من فعلها ويشكو منها لعل الله تعالى يعفو عنه ويرحم ذله وانكساره أمامه.

﴿إلهي لم أعصك حين عصيتك وأنا بربوبيتك جاحد ولا بأمرك مستخف ولا لعقوبتك متعرض ولا لوعيدك متهاون لكن خطيئة عرضت وسولت لي نفسي وغلبني هواي وأعانني عليها شقوتي وغرني سترك المرخي عليَّ فقد عصيتك وخالفتك بجهدي فالآن من عذابك من يستنقذني ومن أيدي الخصماء غداً من يخلصني وبحبل من أتصل ان أنت قطعت حبلك عني ﴾

الجحد: الإنكار مع العلم.

مستخف: استخف. استجهل واستهان.

متعرض: متصدي، واقع فيه.

الوعيد: التهديد.

متهاون: قليل الإكتراث.

سولت: زينت النفس له.

شقوتي: من الشقاء وهي ضد السعادة.

غرني: خدعني.

المرخي: المطمئن، الآمن.

ثم يلهمه بعد الإعتراف أن يورد العذر ومن خلال عذره ينفي عصيانه وهو غير

جاحد لربوبية رب العالمين ولا هو متحدي لله في غضبه ومستهين بأمره ولا متعرض لغضبه بل هي خطيئة عرضت له وله فيها أسباب وأعوان من هؤلاء الأعوان الهوى والشقوة والغرور وإذا قطع رب العالمين عنه الأسباب ووقف أمام خصمائه ضعيفاً مهاناً فمن سيخلصه منهم؟

﴿فوا سوأتا (أسفا) على ما أحصى كتابك من عملي الذي لولا ما أرجو من كرمك وسعة رحمتك ونهيك إياي عن القنوط لقنطت عندما أتذكرها﴾

القنوط سببه فقدان الإعتقاد بقدرة الله وكرمه ورحمته وهو عبارة عن سوء الظن برب العالمين والإعتقاد بأن الله لا يرحمه ولا يقبل توبته ويعذبه والقنوط هنا في الدعاء سببه قلة الحسنات وكثرة السيئات وعدم الثقة بالأعمال المقدَمَة لا سببه فقدان الأمل برحمة الله تعالى. ولو أنه قد أصابه القنوط لما دعا الله تعالى لكنه يأمل برحمة رب العالمين الواسعة.

﴿يا خير من دعاه داع وأفضل من رجاه راج اللهم بذمة الإسلام أتوسل اليك وبحرمة القرآن أعتمد عليك وبحبي النبي الأمي القرشي الهاشمي العربي التهامي المكي المدني أرجو الزلفة لديك﴾

أتوسل: أتقرب.

الذمة: العهد والأمان.

الحرمة: المنع.

الأُمي: نسبةً الى أُم القرى وهي مكة المكرمة أو الذي لا يعرف القراءة والكتابة وتعتبر أُمية النبي ﷺ من الأدلة على نبوته وقد قال الله تعالى في محكم كتابه:

﴿ وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذاً لارتاب المبطلون ﴾[1].

القرشي : نسبة الى قبيلة النبي ﷺ قبيلة قريش سميت بذلك لتجمعها الى الحرم والنسبة إليها لأن معنى قرش : جمع الشيء من هنا وهناك وضم بعضه الى بعض.

الهاشمي : نسبة الى هاشم بن عبد مناف واسمه عمرو العلا ، قال الشاعر :

عمرو العلا هشم الثريد لقومه ورجال مكة مسنتون عجافُ

وكان يكسي العريان ويطعم الجائع ويفرج عن المعسر ويوفي عن المديون ومن اصيب بدم دفع عنه وكان بابه لا يغلق عن صادر ولا وارد.

العربي : الصريح الخالص من العرب.

التهامي : منسوب الى تهامة وهو سهل ساحلي ضيق غربي الجزيرة العربية محصور بين جبال السرّاة والبحر الأحمر تتخلله تضاريس بركانية وهو ذو مناخ صحراوي تقع مكة فيه.

المكي : نسبةً الى مكة المكرمة مكان ولادة النبي ﷺ وقضى فيها طفولته وصباه وشبابه الى حين هجرته.

المدني : نسبةً الى المدينة المنورة مكان هجرة الرسول الكريم ﷺ وكانت قبل الهجرة تسمى يثرب.

وقد وردت كلمة النبي للدلالة على مرتبه من البشر المخاطب مباشرة من غير

---

(١) العنكبوت / ٤٨.

واسطة بشرية وكلمة نبي مأخوذة من (النبأ) والنبأ خبر ذو فائدة عظيمة يحصل به علم أو غلبة الظن ولا يقال للخبر في الأصل نبأ حتى يتضمن هذه الأشياء الثلاثة وحق الخبر الذي يقال فيه نبأ أن يتعرى عن الكذب كالتواتر وخبر الله تعالى وخبر النبي ﷺ، ولتضمن النبأ معنى الخبر يقال أنبأته بكذا كقولك: أخبرته بكذا ولتضمنه معنى العلم قيل: أنبأته بكذا كقولك أعلمته كذا(١).

والنبوة سفارة بين الله تعالى وبين ذوي العقول من عباده لإزاحة علتهم في أمر معادهم ومعاشهم والنبي لكونه منبّأ بما تسكن إليه العقول الذكية والنبأ الصوت الخفي ومن خلال ذلك نفهم أن النبي هوالمخبر والمنبأ من الله تعالى حيث يتلقى الخبر الصادق العظيم الشأن والفائدة بشكل خفي ـ أي يلقي إليه وحياً ـ فكلمة النبي تجمع هذه المعاني كلها، لذلك سمي المخاطب بالوحي من قبل الله تعالى من غير واسطة أحد من البشر نبياً(٢).

أما الرسول فقد عرفه اللغويون بقولهم الرّسل الإنبعاث على التؤدة ويقال ناقة رسلة أي سهلة السير وأبل مراسيل منبعثة انبعاثاً سهلاً ومنه الرسول المنبعث وتصور منه تارةً الرفق والتودد واللطف ليوصل الرسالة وقد استعمل القرآن كلمة نبي ورسول وأطلق على بعض الأنبياء الإسمين معاً فقال تعالى مخاطباً رسوله الى البشرية الهادي محمد ﷺ: ﴿ يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين﴾(٣)

---

(١) معجم مفردات ألفاظ القرآن / الراغب الاصفهاني / ص ٤٨١.

(٢) النبوة / نشر دار التوحيد.

(٣) الانفال / ٦٤.

وخاطبه مسمياً إياه صلى الله عليه وآله وسلم وآله بالرسول أيضاً بقوله: ﴿ ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ﴾[1] و ﴿ أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ﴾[2] و ﴿ أرسلناك للناس رسولاً وكفى بالله شهيداً ﴾[3].[4]

وقد اتفقت الإمامية على أن كل رسول هو نبي وليس كل نبي رسول وقد كان من أنبياء الله عز وجل حفظةً لشرائع الرسل وخلفائهم في المقام[5].

وقد توسل الداعي بحب النبي صلى الله عليه وآله وسلم ورجاه لكي يتقرب من ربه والحب عاطفة رقيقة تتولد في قلب الإنسان يربيها الإسلام ويجعلها عاطفة واعية يُيسرها العقل بوضع ضوابط لهذا الحب بحيث لا يخرج عن الهدف البنّاء للدين وإذا بهذه العاطفة تصبح ضرورة من ضرورات الدين وتكون أجراً لرسالة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ألا وهي مودة ذوي القربى. وكذلك حث الإسلام (من خلال النصوص القرآنية والروايات الواردة عن المعصومين سلام الله عليهم) على الحب في الله والبغض فيه والذين يحبون ويبغضون في الله يُدعَوْن في الآخرة بجيران الله وجعل ثوابها كفارة الذنوب ولو كانت هذه الذنوب كزبد البحر لماذا؟ لأن الله تعالى أراد للحب أن يسود وتكون مبرراته واضحة على ضوء العقيدة حيث يمزج الوعي العقلي الخالص بالعواطف

---

(١) الحشر / ٧.

(٢) النساء / ٥٩.

(٣) النساء / ٧٩.

(٤) النبوة / عن دار التوحيد.

(٥) أوائل المقالات / الشيخ المفيد / ص ٤٤.

المبنية على أساس من التوجيه الصحيح حيث من خلال هذا التوجيه للحب يكون الحب محركاً منشطاً للمجتمع الإسلامي وبدونه يكون ضعيفاً خائراً حيث قال الله تعالى: ﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ﴾[1].

ومن خلال الحب يصل الإنسان الى الإيمان الحقيقي الخالص وقد روي عن الإمام الصادق عليه السلام قوله: « **لا يبلغ أحدكم حقيقة الإيمان حتى يحب أبعد الخلق منه في الله ويبغض أقرب الخلق منه في الله** »[2].

وعلى هذا الأساس قامت علاقة الحب بين أهل البيت والأُمة، فحبهم يعني تطبيق تعاليمهم ووصاياهم وهكذا صار حب علي إيمان وبغضه كفر كما في حديث الإمام الصادق عليه السلام للرد على سؤال الفضل بن عمرو، ويتم تحصيل الحب في الله ولله بالكيفية التالية:

١ ـ التدبر في أسماء الله الحسنى وصفاته العليا من خلال القرآن الكريم والأدعية المأثورة.

٢ ـ التدبر في إحسان الله تعالى على عباده بل على كل موجود من غير استحقاق في الدنيا والآخرة.

٣ ـ المداومة على الدعاء والقرآن الكريم فالدعاء تكلم العبد مع ربه والقرآن تكلم الله تعالى مع العبد.

٤ ـ المداومة على الصلاة بما فيها الصلوات المفروضات والنوافل.

---

(١) المائدة / ١٨.

(٢) أعيان الشيعة / ج ١ / ص ٦٦٨.

٥ ـ الخلوة مع الله تعالى.

٦ ـ الإهتمام بالواجبات والمستحبات والإجتناب عن المحرمات والمكروهات والمشتبهات[١].

وللحب في الله ولله فوائد:

١ ـ يحرق جميع الرذائل ويقلع عروقها ويغرس مكانها شجرة الفضائل.

٢ ـ حصول مقام التذكر الدائمي لله وهو أفضل النعم.

٣ ـ حصول مقام التسليم والرضا حتى يصل الإنسان أن لا يرى البلاء بلاءً.

٤ ـ يستقلل أعماله ولو كانت كثيرة بحيث يكون دائم الخجل من الله تعالى لاعتبار عمله غير لائق.

٥ ـ تحصل له محبة خلق الله لأن من أحب شيئاً أحب آثاره.

٦ ـ حصول الكثير من الحالات العرفانية كحالة الخضوع والخشوع والتفكر والتدبر والعبادة والإنابة[٢].

﴿فلا توحش استيناس إيماني ولا تجعل ثوابي ثواب من عبد سواك فإنّ قوماً آمنوا بألسنتهم ليحقنوا به دمائهم فأدركوا ما أمّلوا وأنا آمنّا بك بألسنتنا وقلوبنا لتعفو عنا فأدركنا ما أمّلنا وثبت رجائك في صدورنا ولا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمةً إنك أنت الوهاب﴾

توحش: ضد استأنس أي شعر بالوحشة.

---

(١) الأخلاق للأستاذ حسين المظاهري.

(٢) الأخلاق للأستاذ حسين المظاهري.

استئناس : استلطاف .

حقن الدم : صانه ولم يرقه .

نزغ : أفسد .

وبعد أن يلهمه كيفية الإعتراف بمعاصيه ثم يبررها يدعوه أن يرجو الله تعالى ويتوسل بفضله بحبه النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم وأن يجعل توسله به شافعاً ونافعاً ولا يشعره بالوحشة وخيبة الأمل بأن لا يجعله مع الكفار والملحدين في صعيد واحد لأن الذي أسلم بلسانه حقن الإسلام دمه وهو آمن بلسانه وقلبه ليعفو الله عنه ويرحمه ويهب الله الهدى والأمل برحمته الواسعة .

﴿فوعزتك لو انتهرتني ما برحت من بابك ولا كففت عن تملقك لما ألهم قلبي (يا سيدي) من المعرفة بكرمك وسعة رحمتك. الى من يذهب العبد الا الى مولاه والى من يلتجيء المخلوق الا الى خالقه﴾

إنتهرتني : زجرتني .

ما برح : ما زال .

التملق : التلطف .

الإلهام : الإلقاء في الروع أمراً يبعثه على فعل أمر وتركه .

العبد ذو الظن الحسن بربه لا يقطع حسن ظنه حتى لو انتهره وأغلق بابه دونه لحسن ظنه ومعرفته بسعة رحمة الله وكرمه وليس له ملجأ الا الله . والظن الحسن بالله تعالى ثمنه الجنة ، فعن الامام الصادق عليه السلام عن آبائه : قال : « **قال رسول الله صلى الله عليه وآله : ليس من عبد يظن بالله عز وجل خيراً الا كان عند ظنه به وذلك قول الله عز**

وجل ﴿ وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرديكم فأصبحتم من الخاسرين ﴾ »[1].

﴿إلهي لو قرنتني بالأصفاد ومنعتني سيبك من بين الأشهاد ودللت على فضايحي عيون العباد وأمرت بي الى النار وحلت بيني وبين الأبرار ما قطعت رجائي منك ولا صرفت تأميلي للعفو عنك ولا خرج حبك عن قلبي. أنا لا أنسى أياديك وسترك عليّ في دار الدنيا ﴾

القرن أوالإقران: الشد والوصل.

الأصفاد: جمع صفد وهو القيد.

السيب: المطر الجاري، العطاء، المال، النافلة.

الأشهاد: الحضور.

حلت: فرقت.

يقول لنا الإمام ان العبد يبقى رجاءه في ربه كبيراً مهما حدث حتى لو قيده بالقيود وفضحه بين الناس وأمر به الى النار لا يقطع أمله به ولا يسيء ظنه به ولا ينسى أياديه الكريمة عليه وستره عليه الى آخر لحظة.

﴿ سيدي أخرج حب الدنيا من قلبي واجمع بيني وبين المصطفى وآله خيرتك من خلقك وخاتم النبيين محمد صلى الله عليه وآله وانقلني الى درجة التوبة اليك وأعني بالبكاء على نفسي فقد أفنيت بالتسويف والآمال عمري وقد نزلت منزل الآيسين من خيري (حياتي) ﴾

---

(١) نوادر الراوندي / ج ٤ / ص ٥٤٤.

يلقننا الامام عليه السلام أن يطلب أحدنا من الله تعالى اخراج حب الدنيا من قلبه والدنيا في اللغة بمعنى أدنأ يعني أقل وتقابلها الآخرة وسميت كذلك لأنها تأتي آخراً وفيها الجزاء والثواب وحب الدنيا من الذنوب القلبية ومنها تنشأ سائر الذنوب القلبية والجسمية والدنيا عدوة لله ولأوليائه ولأعدائه فعداوتها لله فإنها قطعت الطريق على العبادة وأما عداوتها لأوليائه وأحبائه فإنها تزينت لهم بزينتها وعمتهم بزهرتها ونضارتها حتى تجرعوا مرارة الصبر في مقاطعتها وأما عداوتها لأعدائه فإنها استدرجتهم بمكرها ومكيدتها واقتنصتهم بشباكها وحبائلها حتى وثقوا بها وعولوا عليها فاجتنبوا منها حيرة وندامة تنقطع دونها الأكباد ثم حرمتهم عن السعادة أبد الآباد فهم على فراقها يتحسرون ومن مكائدها يستغيثون ولا يغاثون بل يقال لهم: ﴿ إخسئوا فيها ولا تكلمون ﴾[1].

وهناك فرق واضح بين أن يحب الإنسان الدنيا للدنيا ومن أن يحبها للآخرة، فعن حب الدنيا الآخرة روي عن أبي يعفور (قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إنا لنحب الدنيا، فقال: **تصنع بها ماذا؟** قلت: أتزوج منها وأحج وانفق على عيالي وأنيل إخواني وأتصدق. قال لي: **ليس هذا من الدنيا هذا من الآخرة**)[2].

وحب الدنيا من أجل الآخرة له علامة تميزه وهي أن يكف عن ارتكاب المعاصي ولا يطمع ولا يحسد الغير على ما يملكون ولا أثر لديه للبخل والكبر والعداوة والغرور والحرص وغيره، وعن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «**إن الدنيا دار صدق لمن**

---

(١) جامع السعادات / ج ١ / ص ٢٦.

(٢) بحار الانوار / ج ٧٣ / ص ١٠٦.

صدقها ودار عافية لمن فهم عنها ودار غنى لمن تزود منها ودار موعظة لمن اتعظ بها مسجد أحباء الله ومصلى ملائكة الله ومهبط وحي الله ومتجر أولياء الله اكتسبوا فيها الرحمة وربحوا فيها الجنة »[1].

أما حب الدنيا البغوض فله علامات وصفها لنا صادق آل البيت عليه السلام بقوله: « **فمن أحبها أورثته الكبر ومن استحسنها أورثته الحرص ومن طلبها أوردته الطمع ومن مدحها أكسبته الرياء ومن أرادها مكنته العجب ومن اطمأن اليها ركبته الغفلة »**[2].

والعلاقة بين حب الدنيا وهذه الصفات علاقة مترابطة وسببية فمن أحب الدنيا أحب البقاء فيها وتعميرها وما دام يحب البقاء فيها يقوده هذا الحب الى حب النفس وهو بدوره يقوده الى الكبر الذي هو تعظيم للنفس ورؤيتها فوق غيره. والكبر هو شعور في القلب فإذا ظهر على الجوارح بالحركات والمشي والكلام أصبح تكبر.

ثم إن الدنيا تورث الحرص لمن استحسنها والحرص معناه جمع ما لا يحتاج له من الأموال حيث أن من يفضلها على الآخرة يصيبه الحرص لها وجمع ما لا يحتاج له لحبه البقاء فيها وإعمارها، ومن طلبها لا يقنع ويريد أن يحصل على كل ما تقع على عيناه وبالتالي طلبها يوردالطمع. ومن كانت الدنيا مركز اهتمامه وهدفه يطلب الجاه فيها بأي وسيلة فيوصله ذلك الى الرياء حيث تكون نيته غير الله.

ومن أرادها جاهد للحصول عليها فإذا أقبلت عليه أخذه العجب ونسب النعمة لغير الله تعالى وبالتالي من تأخذه الدنيا بغمراتها ويرين على قلبه حبها يبتعد عن الله

---

(١) نهج البلاغة.

(٢) بحار الانوار / ج ٧٣ / ص ١٠٦.

تعالى حيث يركن لها ويطمئن إليها ويكسله الأمل فتصيبه الغفلة. ويـتشعب حب الدنيا عن ست:

١ ـ حب النساء.

٢ ـ حب المال.

٣ ـ حب الرئاسة.

٤ ـ حب الراحة.

٥ ـ حب الكلام.

٦ ـ حب العلو والثروة.

لذلك قال الحكماء حب الدنيا رأس كل خطيئة.

أما قول الداعي (انقلني الى درجة التوبة إليك) فمعناه هيئني الى أن أصل مرحلة الإقبال عليك وتركالذنوب ويقظة الضمير والتوبة معناها الرجوع عن الذنب القولي والفعلي والفكري الى الله تعالى ويقال لباذل التوبة تائب. وتاب الله عليه: أي غفر له ورجع عليه بفضله فالله تواب لكثرة قبوله توبة العباد وحالاً بعد حال والتـوبة فـي الشرع: ترك الذنب لقبحه والندم على ما فرط منه والعـزيمة عـلى تـرك المـعاودة وتدارك ما أمكنه أن يتدارك من الأعمال بالإعادة فمتى اجتمعت هذه الأربع فـقد كملت شرائط التوبة التامة.

وبكلمة أُخرى أن التوبة التامة تعني الجمع بين ترك القبيح وتحري الجميل.

وإذا قبل الله توبة العبد فإنه تعالى يقبل اعتذاره ويمحو النتائج المترتبة تكوينياً وجزائياً على الإنسان كما قال الله تعالى: ﴿ إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى

للذاكرين ﴾[1]. وقال الإمام الصادق عليه السلام في ذلك: « **إذا تاب العبد توبة نصوحاً أحبه الله فستر عليه.** فسُئل الامام وكيف يستر عليه؟ قال: **ينسي ملكيه ما كانا يكتبان عليه ويوحي الى جوارحه والى بقاع الأرض أن اكتمي عليه ذنوبه فيلقي الله عز وجل حين يلقاه وليس شيء يشهد عليه بشيء من الذنوب** »[2].

أما التسويف فهو تأخير التوبة حيث يكثر العبد من قول سوف وسبب التسويف هو طول الأمل ونسيان الآخرة وقد قال الإمام محمد الباقر عليه السلام: « **إياك والتسويف فإنه بحر يغرق فيه الهلكى** »[3].

﴿ فمن يكون أسوء حالاً مني إن أنا نقلت على مثل حالي الى قبري ـ قبر ـ لم أمهده لرقدتي ولم أفرشه بالعمل الصالح لضجعتي وما لي لا أبكي ولا أدري الى ما يكون مصيري وأرى نفسي تخادعني وأيامي تخاتلني وقد خفقت عند ـ فوق ـ رأسي أجنحة الموت ﴾

إن أعمال الإنسان تصحبه الى قبره وتكون أنيسه فيه وقد ورد هذا المعنى في الآيات القرآنية حيث من لطف الله تعالى أنه حذر العباد وأنذرهم بواسطة أنبياءه الكرام: منها قوله تعالى: **﴿ يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً ويحذركم الله نفسه والله رؤوف بالعباد ﴾**[4].

---

(١) هود / ١١٤.

(٢) بحار الانوار / ج ٦ / ص ٢٨.

(٣) بحار الانوار / ج ٧٨ / ص ١٦٤.

(٤) آل عمران / ٣٠.

وإذا كان أعمال العبد خيِّرة فهي من أعظم الأُمور التي تحميه بعد الممات وتذب وتدفع عنه السوء والبلاء. وقد روي عن عبد الرحمن بن سمرة أنه قال: خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن في صفة بالمدينة فقام علينا فقال: **إني رأيت البارحة عجباً رأيت رجلاً من امتي اتاه ملك الموت ليقبض روحه فجاءه برُّه بوالديه فردَّ ملك الموت عنه. ورأيت رجلاً من امتي قد احتوشته الشياطن فجاء ذكر الله فطير الشياطين عنه ورأيت رجلاً من امتي قد احتوشته ملائكة العذاب فجاءته صلاته فاستنقذته من أيديهم. ورأيت رجلاً من امتي يلهث عطشاً كلما دنا من حوض مُنع وطُرد فجاءه صيام شهر رمضان فأسقاه وأرواه.**

ورأيت رجلاً من امتي ورأيت النبيين جلوساً حلقاً حلقاً كلما دنا الى حلقة طُرد ومُنع فجاءه غُسله من الجنابة فأخذ بيه فأقعده الى جنبي.

ورأيت رجلاً من امتي من بين يديه ظلمة ومن خلفُه ظلمة وعن يمينه ظلمة وعن يساره ظلمة ومن فوقه ظلمة وهو متحير فيه فجاءه حجُّه وعمرته فاستخرجاه من الظلمة وأدخلاه في النور. ورأيت رجلاً من امتي يتقي وهج النار وشررها فجاءته صدقته فصارت ستراً بينه وبين النار وظلاً على رأسه.

ورأيت رجلاً من امتي يكلِّم المؤمنين ولا يكلمونه فجاءته صلته رحمه فقالت: معاشر المؤمنين إنّه كان وصولاً لرحمه فكلّموه فكلمه المؤمنون وصافحوه وصافحهم.

ورأيت رجلاً من امتي قد احتوشته الزبانية فجاءه أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر فاستنقذه من أيديهم وأدخله في ملائكة الرحمة.

ورأيت رجلاً من امتي جاثياً على ركبتيه وبينه وبين الله حجاب فجاءه حسن خلقه فأخذ

بيده فأدخله على الله عزَّ وجلَّ ورأيت رجلاً قد ذهبت صحيفته من قبل شماله فجاءه خوفه من الله عز وجل فأخذ صحيفته فوضعها في يمينه.

ورأيت رجلاً من امتي خف ميزانه فجاءه افراطه[1] فثقلوا ميزانه. ورأيت رجلاً من امتي قائماً على شفير جهنم فجاءه رجاؤه من الله عز وجل فاستنقذه من ذلك ومضى.

ورأيت رجلاً من امتي قد هوى في النار فجاءته دمتعه التيقد بكى من خشية الله عز وجل فاستنقذته من ذلك. ورأيت رجلاً من امتي قائماً على الصراط يدعو كما تدعو السعفة في ريح عاصف فجاءه حسن ظنه بالله عز وجل فسكن روعه ومضى.

ورأيت رجلاً من امتي يزحف على الصراط يحبو أحياناً ويتعلق أحياناً فجاءته صلاته فأقامته على قدميه وأنقذته. ورأيت رجلاً من امتي انتهى الى أبوب الجنة فغلقت الأبواب دونه فجاءته شهادة أن لا إله الا الله ففتحت له الأبواب وأدخلته الجنة[2].

ومما سبق نرى أن أعمال الخير والمعروف تحمي الإنسان وتذود عنه في كل منزل وموقف من مواقف الآخرة، أما الذي ليس له أعمال تعينه وبالعكس هو مثقل بالذنوب والخطايا ـ أمثالنا ـ فيكتنفه الخوف حيث يرى نفسه بأسوأ حال حيث معاصيه الكثيرة والموت قريب منه وقبره ينتظره دون تمهيد بعمل صالح يسبقه فيجد نفسه بلا إرادة يبكي نفسه ويبكي من مصيره المجهول وعمره يجري ونفسه تخدعه.

وهذه الفقرة مكملة للفقرة السابقة والفقرة اللاحقة من الإحساس الكامل بالإستفلاس والخلو من الأعمال الصالحة الشافعة أمام الله تعالى بعدالموت وتجسم

---

(١) أولاده الذين ماتوا صغاراً.

(٢) ابن القيمالجوزية، الروح / ص ٨٢ ـ ٨٣ عن كتاب البرزخ للشيخ جعفر الباقري.

هذه الفقرات الوقوف الذليل والضعيف أمام الله تعالى والتحرق الكامل والأسف على ضياع العمر وفوات الأوان والموت طالب حثيث والأمل القاتل يقوده نحو الهاوية ولا يرى بُداً من الاعتراف ـ رغم مرارته ـ أمام الله تعالى بعظم جرائمه وسواد صحائفه بمعاصيه ليعول بعد ذلك على سعة رحمة الله تعالى وكرم وجهه وقديم إحسانه وتتابع مننه.

﴿مالي لا أبكي لخروج نفسي﴾

خلق الله تعالى الإنسان للبقاء لا للفناء والروح تمثل حالة راقية سامية من حالات وجود الإنسان غير قابلة للعدم والفناء وقد وري عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام أنه قال لرجل: «**خلقنا للبقاء وكيف تفنى جنة لا تبيد ونار لا تخمد؟ ولكن قل إنما نتحرك من دار الى دار**»(١).

وسئل الامام الباقر عليه السلام عن الموت فقال: «**هو النوم الذي يأتيكم كل ليلة الا أنه طويل مدته لا ينتبه منه الا يوم القيامة فمن رأى في نومه من أصناف الفرح ما لا يقدر قدره ومن أصناف الأهوال ما لا يقدر قدره فكيف حال فرح في النوم ووجل فيه؟ هذه هو الموت فاستعدوا له**»(٢).

ومعنى ذلك أنه كما تغيب الروح في النوم وتزور عوالم بعيدة وغريبة فانه في الموت كذلك تغادر الروح الجسد الى عالم آخر أما سعادة مزح أو شقاء وترح، غريب كل الغرابة عن عالم الدنيا الذي يألفه الإنسان ويعرفه أي أن مغادرة الروح

---

(١) علل الشرائع / الشيخ الصدوق.
(٢) بحار الانوار / ج ٦ / ص ١٥٥.

للجسد أو سفر الروح دون الجسد هو الموت وما دام الموت هو سفر الى عالم آخر وليس عدم وفناء فلماذا يخاف الإنسان الموت؟ والحقيقة أن هناك عدة أسباب لخوف الإنسان من الموت، منها فراق الأحبة وهو المطلع كما يقول الإمام الحسن المجتبى عليه السلام عندما سأله أخوه الحسين عليه السلام عن سبب بكاءه ـ عنه احتضاره ـ.

وسبب آخر فالناس يكرهون الموت لأنهم جهلوه فكرهوه ولو عرفوه لأحبوه كالصبي الذي يكره الدواء لجهله بنفعه له[1].

كما أن الإنسان يكره الموت لأن الموت يحرمهم من نعمهم الدنيوية ولشدة تعلقهم بها فإنهم لا يحبون مفارقتها. وقد سئل الإمام الحسن عليه السلام ما بالنا نكره الموت ولا نحبه؟ فقال عليه السلام: **«إنكم أخرتم آخرتكم وعمرتم دنياكم فأنتم تكرهون النقلة من العمران الى الخراب»**[2].

أما خروج الروح من البدن فقد صرحت الروايات عن صعوبته، وقد شبهته بسلخ الجلد عن البدن في حال الحياة وفي البعض الآخر من الروايات شبهت خروج الروح بوضع حجر المطحنة أو مسمار باب القلعة في العين ودورانه فيها أسهل من سكرات الموت أو أشبه بالبدن الذي يقرض بالمقاريض.

ويختلف قبض روح المؤمن عن قبض روح الكافر، فعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: **«إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل اليه ملائكة من السماء بيض الوجوه كأن وجوههم الشمس معهم أكفان من كفن الجنة وحنوط من حنوط**

---

(١) عن حديث للإمام الجواد عليه السلام في معاني الأخبار / ص ٢٧٦.

(٢) بحار الانوار / ج ٦ / ص ١٢٩.

الجنة حتى يجلسوا منه مد البصر ثم يجي ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول أيتها النفس الطيبة اخرجي الى مغفرة من الله ورضوان فتخرج تسيل كما تسيل القطر من في[1] السقاء وإن كنتم ترون غير ذلك فيأخذها فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يأخذوها فيجعلوها في ذلك الكفن وفي ذلك الحنوط فتخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض فيصعدون بها فلا يمرون على ملأ من الملائكة الا قالوا: ما هـذا الروح الطيب؟ فيقولون (فلان بن فلان) بأحسن أسماءه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا حتى ينتهوا بها الى السماء الدنيا فيستفتحون له فتفتح لهم فيشيعه من كل سماء مقربوها الى السماء التي تليها حتى ينتهي به الى السماء السابعة فيقول الله اكتبوا كتاب عبدي في عليين وأعيدوه الى الأرض فإني منها خلقتهم وفيها أُعيدهم ومنها أُخرجهم تارة أُخرى فيعاد روحه في جسده» لسؤال الملكين في القبر.

«وإن العبد الكافر إذا كان في إقبال من الآخرة وانقطاع من الدنيا نزل اليه من السماء ملائكة سود الوجوه معهم المسوح فيجلسون منه مد البصر ثم يجي ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول أيتها النفس الخبيثة اخرجي الى سخط من الله وغضب فيفرق في جسده فينتزعها كما ينتزع السفود من الصوف المبلول فيأخذها فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يجعلوها في تلك المسوح ويخرج منها كأنتن ريح جيفة وجدت على الأرض فيصعدون بها فلا يمرون بها على ملأمن الملائكة الا قالوا ما هذا الروح الخبيث؟ فيقولون فلان بن فلان بأقبح أسمائه التي كان يُسمى بها في الدنيا حتى ينتهي بها الى

---

(١) فم.

السماء الدنيا فيستفتح فلا تفتح له ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ﴿ لا تفتح لهم أبواب السماء ﴾ فيقول الله عز وجل: (اكتبوا كتابه في سجين في الارض السفلى فيطرح روحه طرحاً) ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ﴿ ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق ﴾ »[1].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام في صفة المأخوذين على الغرّة (أي على غفلة):

« اجتمعت عليهم سكرة الموت وحسرة الفوت ففترت لها أطرافهم وتغيرت لها ألوانهم ثم ازداد الموت فيهم ولوجاً فحيل بين أحدهم وبين منطقه (قدرته على النطق) وأنه لبين أهله ينظر ببصره ويسمع بأذنه على صحةٍ من عقله وبقاء من لُبّه (فهمه وإدراكه) يفكر فيم أفنى عمره وفيم أذهب دهره! ويتذكر أموالاً جمعها أغمض في مطالبها وأخذها من مصرَّحاتها ومشتبهاتها قد لزمته تبعات جمعها وأشرف على فراقها تبقى لمن وراءه ينعمون فيها ويتمتعون بها فيكون المهنأُ لغيره والعبء على ظهره والمرء قد غلقت رهونه بها فهو يعض يده ندامةً على ما أصحر (خرج الى الصحراء) له عند الموت من أمره.

ويزهد فيما كان يرغب فيه أيام عمره ويتمنّى أن الذي كان يغبطه بها ويحسده عليها قد حازها دونه!

فلم يزل الموت يبالغ في جسده حتى خالط لسانه سمعه فصار جيفةً بين أهله لا ينطق بلسانه ولا يسمع بسمعه يردد طرفهُ بالنَّظر في وجوههم يرى حركات ألسنتهم ولا يسمع رجع كلامهم.

---

(١) الفخر الرازي، التفسير الكبير / ج ٤ / ص ١٤٧ عن البرزخ للدكتور الشيخ جعفر الباقري / ص ٤٦.

ثم ازداد الموت التياطاً به فقبض بصده كما قُبض سمعه وخرجت الروح من جسده فصار جيفة بين أهله »[1].

ولما كان العبدُ منا قد عمر دنياه وترك آخرته والموت على بعد خطوات منه والعمر قد أدبر لذلك لا يجد ما يشفي نفسه غير دموعه.

﴿ أبكي لظلمة قبري أبكي لضيق لحدي ﴾

اللحد والالحاد بمعنى واحد وهو التطرف والميل عن الوسط الى أحد الجانبين ومنه لحد القبر لكونه في جانبه بخلاف الضريح الذي في الوسط.

سئل الامام الصادق عليه السلام عن ضغطة القبر (أيفلت من ضغطة القبر أحد؟ قال: **نعوذ بالله منها ما أقل من يفلت من ضغطة القبر**)[2].

وحتى المصلوب والغريق لا يسلم منها حيث يومي الله تعالى للهواء أن يضغطه ضغطة أشد من ضغطة القبر وكذلك للغريق حيث يوحي الله تعالى لماء البحر بأن يضغط على الغريق[3].

وفيما كتب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام لمحمد بن أبي بكر: « **يا عباد الله ما بعد الموت لمن لا يغفر له أشد من الموت القبر فاحذروا ضيقه وضنكه وغربته ان القبر يقول كل يوم أنا بيت الغربة أنا بيت الوحشة أنا بيت الدود والقبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار. إن العبد المؤمن إذا دفن قالت الأرض مرحباً وأهلاً قد كنت ممن أحب أن**

---

(١) نهج البلاغة.
(٢) الكافي / ج ٣ / ص ١٣٦.
(٣) الكافي / ج ٣ / ص ١٣٦.

تمشي على ظهري فإذا وليتك فستعلم كيف صنيعي بك فيتسع له مد البصر وإن الكافر إذا دفن قالت له الأرض لا مرحباً بك ولا أهلاً لقد كنتَ ممن أبغض من يمشي على ظهري فإذا وليتك فستعلم كيف صنيعي بك فتضمه حتى تلتقي أضلاعه والمعيشة الضنك التي حذّر الله منها عدوّه عذاب القبر أن يسلّط على الكافر في قبره تسعة وتسعين تنيناً فينهش لحمه ويكسرنّ عظمه يتردّدن عليه وكذلك الى يوم يبعث لو أن تنيناً منها نفخ في الأرض لم ينبت زرعاً يا عباد الله إن أنفسكم الضعيفة وأجسادكم الناعمة الرقيقة التي يكفيها لايسير تضعف عن هذا فإن استطعتم أن تجزعوا لابجسادكم وأنفسكم بما لا طاقة لكم به ولا صبر لكم عليه فاعملوا بما أحب الله واتركوا ما كره الله»[1].

﴿ أبكي لسؤال منكر ونكير إياي ﴾

ورد في الروايات أن اسم الملكين اللذين يدخلان على الكافر قبره ويسألانه منكر ونكير أو ناكر ونكير واسمي الملكين اللذين يدخلان على المؤمن قبره ويسألانه مبشّر وبشير ويعلل ذلك الشيخ المفيد بقوله: «**إنما سمي ملكا الكافر ناكراً ونكيراً لأنه ينكر الحق وينكر ما يأتيانه به ويكرهه وسمي ملكا المؤمن مبشّراً وبشيراً لأنهما يبشرانه بالنعيم ويبشرانه من الله تعالى بالرضا والثواب المقيم وإن هذين الإسمين ليسا بلقب لهما وإنما هو عبارة عن فعلهما**»[2].

والسبب في السؤال في القبر مع علم الله تعالى بحال المؤمن والكافر هو أن السؤال بدايه النعمة للمؤمن وبداية النقمة للكافر أي أن السؤال يكون بمثابة عنوان للآخرة

---

(١) سفينة البحار / ج ٧ / ص ١٨٩.

(٢) تصحيح اعتقادات الامامية / ص ٩٩، عن البرزخ للشيخ جعفر الباقري.

ولسؤال المؤمن وهو يتقن الجواب يُفرِّج المؤمن كحال الطالب الذي أحضر دروسه بإتقان حيث لما يسأله المعلم يفرح لعلمه بالجواب هذا بالنسبة للمؤمن، أما بالنسبة للكافر فإن عدم معرفته الجواب وتلجلجه وحيرته هو بداية شقائه وعذابه[1].

والسؤال في القبر يكون عن أساسيات الدين، فعن الامام زين العابدين عليه السلام في حديثه لسائر أصحابه وشيعته، قال: « **فكأن قد أوفيت أجلك وقد قبض الملك روحك وصيّرت الى قبرك وحيداً فرد إليك روحك واقتحم عليك ملكاك منكر ونكير لمساءلتك وشديد امتحانك ألا وأن أول ما يسألانك عن ربك الذي كنت تعبده وعن نبيك الذي أُرسل إليك وعن دينك الذي كنت تدين به وعن كتابك الذي كنت تتلوه وعن إمامك الذي كنت تتولاه وعن عمرك فيما أفنيت وعن مالك من أين اكتسبته وفيما أنفقته فخذ حذرك وانظر لنفسك وأعد الجواب قبل الإمتحان والمساءلة والإختبار فإن تك مؤمناً عارفاً بدينك متبعاً للصادقين موالياً لأولياء الله لقنك الله حجتك وانطق لسانك بالصواب فأحسنت الجواب وبُشرت بالجنة والرضوان من الله واستقبلتك الملائكة بالروح والريحان وإن لم تكن كذلك تلجلج لسانك ودحضت حجتك وعييت عن الجواب وبشرت بالنار واستقبلتك ملائكة العذاب بنزل من حميم وتصلية جحيم** »[2].

﴿ أبكي لخروجي من قبري عرياناً ذليلاً حاملاً ثقلي على ظهري أنظر مرة عن يميني واخرى عن شمالي إذ الخلائق في شأن غير شأني لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرةٌ ووجوه يومئذ عليها

---

(١) المعاد للشهيد عبد الحسين دستغيب.

(٢) تحف العقول / ص ١٨٠.

غبرة ترهقها قترة وذلة

لكل امرىء يومئذ شأن يغنيه: أي كل إنسان منهم أمر عظيم يشغله عن الأقرباء ويصرفه عنهم.

وجوه مسفرة: مشرقة مضيئة.

ضاحكة مستبشرة: من سرورها وفرحها بما أعد لها من الثواب وأراد بالوجوه أصحاب الوجوه.

غبرة: سوداء وكآبة الهم.

ترهقها: تعلوها وتغشاها.

قترة: أي سواد وكسوف عند معاينة النار وقيل إن الغبرة ما انحطت من السماء الى الأرض والقترة ما ارتفعت من الأرض الى السماء وهي سيماء أهل الغم[1].

يبدأ يوم القيامة بنفختي الصور حيث يصعق من في السماوات والأرض الا ما شاء الله ويهلع الناس ويقوموا من رقدتهم فهذا يقوم من شدته وذاك يبعث من بطن سبع وآخر من وكر أفعى ورابع من حوصلة طير ويقومون سراعاً عراة حفاة قد ألجمهم العرق ورجفت بهم الأرض يلتفتون يساراً ويميناً مذعورين طاشت عقولهم وغابت ألبابهم لعظيم أمرهم وهول موقفهم. يوم تبدل الأرض غير الأرض إذ لا جبال ولا بحار ويوم تطوى السماء كطي السجل وتتكدر النجوم وتنشق الأرض وتختم على الأفواه فلا تتكلم وخشعت للواحد القهار. ويومئذ ينقسم الناس قسمين أهل السعادة

---

(١) مجمع البيان في تفسير / ج ١٠ / ص.

وأهل الشقاء ويعرفون بسيماهم وإذ القلوب لدى الحناجر يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الأرض ولا يكتمون الله حديثاً مهطعين مقنعي رؤوسهم لا يرتد اليهم طرفهم وافئدتهم هواء.

ويطول وقوف أهل المحشر الى ٥٠ ألف سنة حيث للقيامة خمسين موقفاً كل واحد منها ألف سنة وتظهر السرائر والبواطن الخفية للناس.

ويأتي موقف تطاير الصحف ﴿ **فأما من أُوتي كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرؤا كتابيه إني ظننت أني ملاق حسابيه فهو في عيشة راضية في جنة عالية قطوفها دانية كلوا واشربوا بما أسلفتم في الأيام الخالية** ﴾[١].

حيث تطير الأفئدة معها وهل سيكون الكتاب باليمين أم بالشمال أو وراء الظهر ﴿ **وأما من أُوتي كتابه بشماله فيقول يا ليتني لم أُوت كتابيه ولم أدر ما حسابيه يا ليتها كانت القاضية هلك عني سلطانيه** ﴾[٢].

ثم ينصب الميزان لتوزن به أعمال الخلائق (**فمن ثقلت موازينه فأُولئك هم المفلحون** ﴾ و ﴿ **ومن خفت موازينه فأُولئك الذين خسروا أنفسهم** ﴾[٣].

ثم الصراط وفيه عقبات كثيرة فالأُولى الرحم والأمانة وولاية أمير المؤمنين عليه السلام، والعقبة الثانية الصلاة والثالثة الخمس والزكاة والرابعة الصوم والخامسة الحج والسادسة الطهارة والسابعة المظالم وورد التعبير عنها في القرآن

---

(١) الحاقة / ١٨ ـ ٢٤.

(٢) الحاقة / ٢٥ ـ ٢٩.

(٣) الأعراف / ٨ ـ ٩.

الكريم بالمرصاد. وهكذا أمامنا عقبات وعقبات كؤود، نسأل الله تعالى التوفيق للعمل الصالح.

﴿ سيدي عليك معولي ومعتمدي ورجائي وتوكلي وبرحمتك تعلقي تصيب رحمتك من تشاء وتهدي بكرامتك من تحب ﴾

بعد استعراض الداعي لمخاوفه والأهوال التي تنتظره يلجأ الى الله تعالى بإلحاح وانقطاع وتبتل، علهُ ينجيه ويتوب عليه ويرضى عنه ويلبسه ثوباً يغطي عليه والتبعات وليس له سبب أو حبل يمسك به غير الله تعالى لعله يصيبه برحمته ويهديه بكرامته.

﴿ فلك الحمد على ما نقيت من الشرك قلبي ولك الحمد على بسط لساني أفبلساني هذا الكال أشكرك أم بغاية جهدي في عملي أرضيك وما قدر لساني يا رب في جنب شكرك وما قدر عملي في جنب نعمك واحسانك اليّ ﴾

نقى: نظف.

بسط: أطلق.

الكال: المتعب.

يشبه العلماء التوحيد بثمرة الجوز حيث لها قشرين ولب وخلاصة اللب فالمرتبة الأُولى التي بمثابة القشرة الخارجية أن يقول الإنسان باللسان: لا إله الا الله وقلبه منكر وغافل عنه كتوحيد المنافقين وفائدته دنيوية حيث يحفظ صاحبه من القتل وليس فيه فائدة قلبية.

والمرتبة الثانيه التي هذه بمثابة القشر الداخلي للجوزة أن يصدق بمعنى اللفظ قلبه

كما هو شأن عموم المسلمين حيث أن قلبه خال من التكذيب وتصديق القلب لا يجلب انشراحاً وصفاءً له ولكنه يحفظ صاحبه عن العذاب في الآخرة إن مات عليه ولم يضعَّف بالمعاصي.

والمترتبة الثالثة (وهي كاللب من الجوزة) أن يشاهد صاحبه بطريق الكشف بواسطة نور الحق حيث يرى أشياء كثيرة صادرة عن الواحد الحق وهو مقام المقربين وصاحبه موحد. والمرتبة الرابعة كـ (لُبِّ اللب) وصاحبه لا يرى في الوجود الا واحداً وكما عبد أمير المؤمنين وسيد الموحدين في ذلك «**ما نظرت الى شيء الا رأيت الله قبله وفيه وبعده**».

والمرتبة التي عليها الداعي في التوحيد هي المرتبة الثانية ويحمد الله عليها لأنه نقى قلبه من الشرك وهو يحس بعجزه عن شكر نعم الله المتتابعة وقد قال الإمام علي بن الحسين عليه السلام في هذه الآية ﴿ **وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها** ﴾[1] «**سبحان من لم يجعل في أحد من معرفة نعمه الا المعرفة بالتقصير عن معرفتها كما لم يجعل في أحد من معرفة إدراكه أكثر من العلم بأنه لا يدركه فشكر عزَّ وجلّ معرفة العارفين بالتقصير عن معرفته وجعل معرفتهم بالتقصير شكراً كما جعل علم العالمين انهم لا يدركونه إيماناً علماً منه أنه قد وسع العباد فلا يجاوزون ذلك**»[2].

هذا يعني أن عجز العباد عن الشكر غاية الشكر والداعي يحس بهذا فلسانه عاجز عن الشكر وعمله مقصر عن رضا الله تعالى.

---

(١) ابراهيم / ٣٧.

(٢) تحف العقول / ص ٢٠٥.

﴿إلهي إن جودك بسط أملي وشكرك قبل عملي سيدي اليك رغبتي واليك ـ منك ـ رهبتي واليك تأميلي وقد ساقني اليك أملي وعليك ـ اليك ـ يا واحدي علقت همتي وفيما عندك انبسطت رغبتي ولك خالص رجائي وخوفي وبك آنست محبتي واليك ألقيت بيدي وبحبل طاعتك مددت رهبتي﴾

الامام عليه السلام يشير لنا نحن العاصين على أن يذكر الداعي منّا سبب اعتصامه بالله تعالى (وهو العاصي ذو الوجه الأسودمن كثرة الذنوب) ذلك أن جود الله تعالى هو الذي بسط أمل الداعي وهو الذي يجازي على القليل بالكثير فلا شك أن الله الشاكر سيقبل عمله وقبل هذا وبعده يكون السبب رهبته وأمله الكبير ورغبته فيه ورجاءه المبسوط وهمته المتعلقة بالله تعالى دوافع ليتجه لله تعالى ويعرض عليه حاجاته ويقصر أمله ويعلق عليه رجاءه ليعطيه سؤله وحاجته.

﴿بذكرك عاش قلبي وبمناجاتك بّردت ألم الخوف عني فيا مولاي ويا مؤملي ويا منتهى سؤلي فرّق بيني وبين ذنبي المانع لي من لزوم طاعتك فإنما أسألك لقديم الرجاء فيك وعظيم الطمع منك الذي أوجبته على نفسك من الرأفة والرحمة فالأمر لك وحدك لا شريك والخلق كلهم عيالك وفي قبضتك وكل شيء خاضع لك تباركت رب العالمين﴾

بذكر الله تعالى يعيش القلب لأن القلب الغافل قلب صدىء أو ميت والذكر من شأنه صلاح القلوب وإعمارها لأنه (أي الذكر) يصفها ويجلوها فتنعكس فيه الحقائق كما تنعكس الصور في المرآة الصافية وقد أوضح ذلك أمير المؤمنين عليه السلام بقوله: «إن **الله سبحانه جعل الذكر جلاء القلوب تسمع بعد الوقرة وتبصر به بعد العشوة وتنقاد بعد**

المعاندة»[1] والوقرة ثقل أو ذهاب السمع والعشوة عدم الإبصار بوضوح.

أما الحالة التي تكتنف الإنسان في مناجاته لربه في الليل والناس نيام تزلزل وتغير كل ذرة من ذرات وجوده وكيانه بدءً بقلبه ثم الى أعضائه حيث تتأثر الجوارح بالقلب الذي هو أمامها وقائدها فتنشط للعبادة وقد قال أمير المؤمنين عليه السلام: **«في المناجاة سبب النجاة»**[2] وورد عنه كذلك أنه قال: **«من لزم الخلوة بربه فقد حصل في الحمى الأمنع والعيش الأمتع واعلم أنه لا ينال ما عند الله الا بنفس جاهدة وعين شاهدة»**[3].

والداعي يعدد بعض نعم الله تعالى عليه ويضع أمله ورجاءه في ولاه ليغفر له ذنوبه ويحط عنه خطاياه ويوضح سبب سؤله وهو قديم الرجاء وعظيم الطمع فيه وقبل هذا وبعده الأمر لله الواحد القهار إن يشأ يعذبه فبذنبه وإن يشأ يرحمه فبفضله لأن الخلق كلهم له وبقبضته تبارك الله رب العالمين ومعنى هذه العبارة هو التقديس والتنزيه لله رب العالمين.

﴿الهي ارحمني اذا انقطعت حجتي وكل عن جوابك لساني وطاش عند سؤالك إياي لبي فيا عظيم رجائي لا تخيبني اذا اشتدت فاقتي ولا تردني لجهلي ولا تمنعني لقلة صبري أعطني لفقري وارحمني لضعفي﴾

انقطاع الحجة: انقطع اللسان عن الحجة: ذهبت سلاطته وطلاقته.

---

(١) بحار الانوار / ج ٦٩ / ص ٣٢٥.

(٢) تنبيه الخواطر.

(٣) تنبيه الخواطر.

كلَّ: عجز و تعب.

طاش: ذهب عقله.

لبي: عقلي.

فاقتي: حاجتي وفقري.

هناك مواقف عصيبة يحتاج الإنسان فيها للعون والرحمة حيث لما يدان الإنسان بجرم ما ولا يجد لديه عذر أو حجة أو نصير ينصره أو ولي يعضده حيث قال الله تعالى عن ذلك اليوم: ﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوماً لا يجزي والد عن والده ولا مولود هو جاز عن والده شيئاً ﴾[1].

هناك ينعدم الإمكان في أن يفدي العبد نفسه بمال أو بأهل وأن تكون له كرّة أُخرى أو فرصة للتوبة حيث تتقطع الأسباب ﴿ واتقوا يوماً لا تجزي نفس عن نفس شيئاً ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل ولا هم ينصرون ﴾[2].

والداعي في الفقرة التي سبقت هذه الفقرة يسلم لله تعالى بأن الأمر والخلق له وهو القاهر فوق عباده ويخضع له الخضوع التام يذكر المواقف العصيبة في يوم القيامة وحاجته للرحمة هناك حيث تنقطع الحجة ويعجز اللسان عن الجواب ويطيش اللب في المحكمة الإلهية الرهيبة، يدعو أن لا يخيبه ولا يعامله بجهله ولا لقلة صبره بل يرحم ضعفه ويغني فقره ويعينه لعظيم رجاءه فيه.

﴿ سيدي عليك معتمدي ومعولي ورجائي وتوكلي وبرحمتك تعلقي

---

(١) لقمان / ٣٣.

(٢) البقرة / ٤٨.

وفنائك أحط رحلي وبجودك أقصد طلبتي وبكرمك أي رب أستفتح دعائي ولديك أرجو فاقتي وبغناك أجبر عيلتي وتحت ظل عفوك قيامي والى جودك وكرمك أرفع بصري والى معروفك أديم نظري فلا تحرقني بالنار وأنت موضع أملي ولا تسكني الهاوية فإنك قرة عيني ﴾

فِناء: الساحة أمام البيت.

حط: نزل وهبط.

الرَحْل: ما يجعل على ظهر البعير كالسرج، ما يُتسصحب من الأثاث في السفر ويقال حط رحله: أي أقام.

العَيْلة: الفقر والعجز والعوز والإفتقار.

اديم النظر: أطيل النظر.

الهاوية: من أسماء جهنم.

قرة العين: بردت سروراً وجف دمعها ورأت ما كانت لرؤيته.

ويستمر الداعي بنفس السياق يتوسل ويلح على رب العالمين لأنه موضع أمله وقرة عينه وعليه اعتماده وفيه رجاءه وعليه توكله وبرحمته تعلقه وبفنائه يحط رحله وبجوده يقصده ويجعل الداعي هنا توسله متحركاً لا جامداً ومجسماً حيث يستخدم كلمات مجازية للحركة وكأنه بتوسله غير ساكن مثل ارفع بصري، اديم نظري، أقصد طلبتي.

﴿يا سيدي لا تكذب ظني بإحسانك ومعروفك فإنك ثقتي ولا تحرمني ثوابك فإنك العارف بفقري إلهي ان كان قد دنا أجلي ولم يقربني منك عملي

فقد جعلت الإعتراف اليك بذنبي وسائل عللي. الهي ان عفوت فمن أولى منك بالعفو وان عذبت فمن أعدل منك بالحكم ﴾

يؤكد الداعي على أنه لا يؤمل غير الله تعالى لأن بيده مفاتيح الأبواب وكشف النوائب ويتصور نفسه قد انسدت عليه جميع الطرق الا أنه له حسن الظن بإحسان الله تعالى ومعروفه وله الثقة الكاملة بأن رب العالمين غير بخيل بل هو الجواد الكريم واذا كان هناك احتمالاً لديه بأن أجله قد قرب ولم يقربه عمله فقد قدم اعترافه بذنوبه هو وسيلته. لكن مع هذا فالأمر لله وحده ان عفا وان عذب فإن عفا فهو أرحم الراحمين ورحمته وسعت البر والفاجر وان عذب فهو أعدل الحاكمين.

﴿ أرحم في هذه الدنيا غربتي ﴾

الغربة هي الشعور الذي يكتنف الإنسان عند إحساسه بالوحدة في هذا العالم وان لا أحد يشاطره همومه وآلامه، لذلك قال أمير المؤمنين وإمام المتقين الامام علي عليه السلام: «**فقد الأحبة غربة**» وليس الغريب فقط من بعد عن وطنه وأهله وكذلك الذي يعيش فقيراً ذا فاقة يعيش غريباً (الفقر في الوطن غربة) و (المال في الغربة وطن) فالمال نعم العون على المروءة إذ هو وسيلتها.

والإنسان في غروب حياته وبعد فقده الأقران والأتراب ولاسيما عند رقاده على فراش المرض يحس بالوحدة وهو مقبل على عالم مجهول بالنسبة له.

وعموماً الإنسان في الحياة الدنيا يعيش غريباً لأن الدنيا ليست بدار قرار وإنما الإنسان على سفر فهو بالتالي غريب لأن الدار ليست داره فالداعي يدعو ربه أن يرحم في هذه الدنيا غربته.

﴿وعند الموت كربتي وفي القبر وحدتي وفي اللحد وحشتي وإذا نشرت للحساب بين يديك ذل موقفي واغفر لي ما خفي على الآدميين من عملي وأدم لي ما به سترتني﴾

ويسأل الله تعالى أن يرحمه في الموقف العصيبة، أن يرحم عند الموت كربته وفي القبر وحدته وفي اللحد وحشته لأن الميت يفرد في قبره واللحد لأنه في طرف القبر يوحي بالوحشة لخفاءه وبعده عن فتحة القبر ويذكر الداعي كذلك ذل موقفه في وقوفه بين يدي الله تعالى وهذه المواقف (في القبر واللحد والحساب) مواقف عصيبة لأنها توحي بالوحدة والوحشة والضعف والذل من خلالها يتوسل الداعي الى ربه ليرحمه لضعفه وذله وهوانه وحاجته لله تعالى ولأن النقص يركن للكمال والضعف للقوة والفقر للغنى والذل للعزة فإن الداعي يقدم حاجاته بين يدي الله تعالى لأنه الكمال المطلق ﴿ ولله المثل الأعلى ﴾.

﴿وارحمني صريعاً على الفراش تقلبني أيدي أحبتي وتفضل عليّ ممدوداً على المغتسل يقلبني صالح جيرتي وتحنن عليّ محمولاً قد تناول الأقرباء أطراف جنازتي وجد عليّ منقولاً قد نزلت بك وحيداً في حفرتي وارحم في ذلك البيت الجديد غربتي حتى لا أستأنس بغيرك﴾

ويطلب من الله تعالى الرحمة عندما تفارق روحه جسده وأول ما يهرع الى الميت أهله وأحبته يقلبونه لحبهم له ولمحبتهم له للمفاجأة التي يحدثها موته في نفوسهم ويطلب الرحمة وهو المغتسل لا يحرك يداً ولا رجلاً يقلبه جيرانه كيفما أرادوا لغسله أما لماذا يغسله جيرانه دون غيرهم لأنه على الأغلب الميت يغسله صالح الجيران

لانشغال أهله بالبكاء والمصيبة لفقده ويطلب الرحمة وهو محمولاً على أكتاف أقاربه ويطلب من جود الله تعالى وكرمه وهو يُنقل الى حفرته ورحمة الله وهو بيته الجديد غريباً مستوحشاً وحيداً.

﴿سيدي ان وكلتني الى نفسي هلكت سيدي فبمن أستغيث ان لم تقلني عثرتي فالى من أفزع ان فقدت عنايتك في ضجعتي والى من التجىء ان لم تنفس كربتي سيدي من لي ومن يرحمني ان لم ترحمني وفضل من أؤمل ان عدمت فضلك يوم فاقتي والى من الفرار من الذنوب اذا انقضى أجلي سيدي لا تعذبني وأنا أرجوك الهي ـ اللهم ـ حقق رجائي وآمن خوفي فان كثرة ذنوبي لا أرجو لها الا عفوك﴾

كانت السيدة فاطمة الزهراء (سلام الله عليها) تلقننا هذا الدعاء: «**اللهم لا تكلني الى نفسي طرفة عين**» والسبب أن النفس أشد من الدويبة على الإنسان تورده موارد الهلكة وتقوده الى جنهم لما فيها من الجهل والتجبر والميل الى الشهوات.

ومعنى أن يكل الله العبد الى نفسه أن لا يردعه عن المعاصي ويترك له نفسه تقوده وأول خطوات ذلك الإعجاب بالنفس والثقة بها وقد قال أمير المؤمنين عليه السلام في ذلك: «**إياك والثقة بنفسك فإن ذلك من أكبر مصايد الشيطان**»(١) وقال عليه السلام: «**ان أبغض الرجال الى الله تعالى لعبدٌ وكله الله الى نفسه جائراً عن قصد السبيل سائراً بغير دليل ان دعي الى حرث الدنيا عمل وان دعي الى حرث الآخرة كسل**»(٢).

---

(١) غرر الحكم.

(٢) نهج البلاغة / الخطبة ١٠٣.

لذا فالداعي يدرك هذه الحقيقة وهو يدعو أن لا يكله الله الى نفسه لأن في ذلك هلاكه ثم يستمر يستغيث استغاثة رقيقة ليثير رحمة الله تعالى وعطفه عليه بـإثارة أسئلة ليس لها جواب غير أن من لم يرحمه الله فلا راحم له وإذا لم يقل رب العالمين العثرات لا يقيلها غيره ولا مفزع الا لعناية الله تعالى ولا ينفس الكرب الى الله. وهو أرحم الراحمين وهو ذو الفضل العظيم.

﴿سيدي أنا أسألك ما لا أستحق وأنت أهل التقوى وأهل المغفرة فاغفر لي وألبسني من نظرك ثوباً يغطي علي التبعات وتغفرها ولا أطالب بها انك ذو منٍّ قديم وصفح عظيم وتجاوز كريم. الهي أنت الذي تفيض سيبك على من لا يسألك وعلى الجاحدين بربوبيتك فكيف سيدي بمن سألك وأيقن أن الخلق لك والأمر اليك تباركت وتعاليت يا رب العالمين﴾

التبعات: ما يترتب على الفعل من خير أو شر. السيب: العطاء.

بعد الفقرات المتوالية من هذا الدعاء العظيم القدر يحس الداعي منا بأنه طـلب مطالب لا يستحقها هو لأنه ليس من المتقين والله تعالى أهل للتقوى وفي نفس الوقت لكرمه وجوده أهل لأن يغفر لأهل المعاصي ويستر عليهم ولا يطالبهم بذنوبهم لأن منّه قديم وصفحه عظيم وذو تجاوز كريم وهو يفيض عطاءه وفضله عـلى مـن لا يسأله وعلى من جحد ربوبيته فكيف بمن سأله، وفي هذا السياق يحكى عن أحد الأنبياء: أنه جاءه ضيف فسأله هل يؤمن بالله وبنبوته فأجابه ذلك كلا فطرده فعاتبه رب العالمين على طرده أنه يرزقه ستين سنة وهو كافر به وأمره الله تعالى أن يذهب خلفه ويسترضيه.

فذهب له هذا النبي يسترضيه فلما وجده تعجب ذلك الرجل من مجيء النبي عليه السلام يسترضيه فذكره له السبب أن الله تعالى عاتبه عليه لأنه طرده فلما سمع ذلك الرجل بذلك آمن بالله.

هذا عن من يكفر بالله تعالى فكيف بمن أيقن بربوبيته ورازقيته وقدرته وأنه القاهر فوق عباده.

﴿سيدي عبدك ببابك أقامته الخصاصة بين يديك يقرع باب إحسانك بدعائه ويسعطف جميل نظرك بمكنون رجائك فلا تعرض بوجهك الكريم عني واقبل مني ما أقول فقد دعوت ـ دعوتك ـ بهذا الدعاء وأنا أرجو أن لا تردني معرفة مني برأفتك ورحمتك.

الهي أنت الذي لا يحفيك سائل ولا ينقصك نائل أنت كما تقول وفوق ما نقول﴾

الخصاصة: الفقر والحاجة.

يحفيك: يجهدك.

نائل: طالب وسائل.

ويستمر يدعو ربه بأسلوب رقيق حيث يتصور أنه يقرع باب إحسان الله تعالى بدعائه ويستعطف رجاء الله تعالى المكنون ويأمل أن لا يعرض عنه بوجهه الكريم لأنه لما دعاه دعاه وهو يعرف رأفته ورحمته ولا ينقصه أو يجهده سائل لأن خزائن الله تعالى باقية لا تنفد وهو الغني الحميد.

﴿اللهم إني أسألك صبراً جميلاً وفرجاً قريباً وقولاً صادقاً وأجراً عظيماً

أسألك يا رب من الخير كله ما علمت وما لم أعلم أسألك اللهم من خير ما سألك منه عبادك الصالحون يا خير من سئل وأجود من أعطى أعطني سؤلي في نفسي وأهلي ووالدي وولدي وأهل خزانتي وإخواني فيك ﴾

الخزانة: عيال الرجل الذي يتخزن ويهتم بأمرهم.

يسأل الله تعالى جملة من الأشياء بعد أن يمجده ويبين عبوديته وضعفه ـ في الفقرة السابقة ـ ومن هذه الأشياء التي يسألها الصبر الجميل والصبر الجميل هو الصبر الذي ليس فيه شكوى الى الناس كما ورد عن الامام الباقر عليه السلام علامة الصابر في ثلاث أولها أن لا يكسل والثانية أن لا يضجر والثالثة أن لا يشكو من ربه عز وجل لأنه إذا كسل فقد ضيع الحق وإذا ضجر لم يؤد الشكر وإذا شكا من ربه عز وجل فقد عصاه.

ويطلب الفرج القريب والقول الصادق والأجر العظيم وليس هذا فقط بل يطلب من الخير كله ما يعلم وما لم يعلم ويسأله من خير ما سأله العباد الصالحون وليس لنفسه فقط بل يسأل الخير لعياله وأهله وولده وإخوانه في الله ويستنهض كرم الله تعالى بعبارات فيها توسل واستعطاف.

﴿وارغد عيشي وأظهر مروءتي وأصلح جميع أحوالي واجعلني ممن أطلت عمره وحسنت عمله وأتممت عليه نعمتك ورضيت عنه وأحييته حياةً طيبة في أدوم السرور وأسبغ الكرامة وأتم العيش انك تفعل ما تشاء ولا تفعل ما يشاء غيرك ﴾

رغد العيش: طاب واتسع فالعيش رَغِد.

ومعنى المروءة: هو اسم جامع لسائر الفضائل والمحاسن وتمنع من كل دنية وقد فسر الامام علي عليه السلام المروءة بآيةٍ من آيات القرآن الكريم وهي: ﴿ **إن الله يأمركم بالعدل والإحسان** ﴾ فالعدل الإنصاف والإحسان التفضل[1] أي ان المروءة انصاف الناس من نفسك والتفضل عليهم.

وسئل معاوية بن أبي سفيان الامام الحسن عليه السلام عن معنى المروءة حيث قال: «**وأما المروءة فحفظ الرجل دينه وإحراز نفسه من الدنس وقيامه بضيفه وأداء الحقوق وإفشاء السلام**»[2].

وقد لخص الإمام الباقر عليه السلام المروءة بأربع كلمات وهي: «**أن لا تطمع فتذل وتسأل فتقل ولا تبخل فتشتم ولا تجهل فتخصم**»[3] وبيان ذلك: أن الطمع بذل الرجال لأن الطمع رق مؤبد والمملوك ذليل والأحرى بالمؤمن أن لا تكون له رغبة تذله.

أما السؤال فالذي يسأل يقل في أعين الناس وعلى حد قول الامام الصادق عليه السلام **السؤال ذل ولو كيف الطريق**؟ والبخل عار والكرم صيانة للعرض. أما الجهل فصاحبه مغلوب بقوة الحجة والبرهان وهو خلو من ذلك. وللمروءة مفسدات وهي البخل والحرص وعدم الهمة والربح على الإخوان.

ويطلب الداعي إتمام النعمة عليه فأما في الدنيا فإتمام النعمة (كما في حديث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم) في أربع: العافية في البدن والأمن في الوطن والقوت الكافي

---

(١) كنز العمال.

(٢) كنز العمال.

(٣) بحار الانوار / ج ٧٨ / ص ٢٤١.

والإيمان. أما في الآخرة فهو الفوز بالجنة والخلود المقيم.

وهذه الفقرة من الدعاء تكمل التي سبقتها حيث يعرض الداعي على ربه حوائجه في الدنيا والآخرة لأن له المشيئة وليس لغيره المشيئة والحكم.

﴿اللهم خصني بخاصة ذكرك ولا تجعل شيئاً مما أتقرب به في آناء الليل وأطراف النهار رياءً ولا سمعةً ولا أشراً ولا بطراً﴾

خاصة الذكر: يعني أن الله تعالى يخصه ويفضله بذكره.

آناء الليل: مفردها إنو وقيل إني وهو الوقت والمشارعة والمبادرة وقيل آناء الليل ساعاته.

والرياء هو الشرك الأصغر حيث تكون نية العبد غير خالصة لله تعالى فأما تكون نية العمل خالصة للناس للحصول على رضاهم أو الحصول على الشهرة.

أو أن يشرك مع نية لله رضا الناس فيفسد لذلك عمله والرياء من الذنوب القلبية ويجب التوبة منها حيث ينادى يوم القيامة على المرائي بأربع أسماء: يا كافر يا فاجر يا غادر يا خاسر.

وللرياء خمسة أقسام وهي:

١ ـ الرياء في الدين وذلك بإظهار النحول والإصفرار ليوهم بذلك الناس في أنه مجتهد في العبادة.

٢ ـ الرياء بالزي والهيئة وذلك بإظهار السجود وغلظ الثياب هذا إذا كان التشبه بأهل الدين أما إذا كان التشبه بأهل الدنيا فصاحب هذا القسم من الرياء يلبس الملابس الفاخرة النفيسة والمراكب الرفيعة والتجمل في الملبس والمأكل.

٣ ـ الرياء بالقول وإذا كان التشبه بأهل الدين فصاحبه يكثر من الوعظ والنطق بالحكمة وحفظ الأخبار والآثار لاستخدامها في المحاورة إظهاراً لغزارة العلم. وأما التشبه لأهل الدنيا فمراءاتهم بالقول وحفظ الأشعار والأمثال والتفاصح في العبارات وحفظ النحو الغريب.

٤ ـ الرياء بالعمل كمراءاة المصلي بطول القيام ومد الظهر وتطويل السجود وكذلك بالصوم والحج والصدقة وإطعام الطعام.

٥ ـ المراءاة بكثرة الأصحاب والزائرين والمخالطين[١].

والسمعة هي الميول الباطنية نحو الشهرة حيث يحب صاحبه أن يكون لسانه على كل لسان وقلم يُذكر بالمديح والثناء وينفق في ظل هذه الميول أموالاً في العلن في أُمور خيرية واجبة أو مستحبة وحتى لو كانت نيته اللسانية (القربة الى الله) لأن إنفاق تلك الأموال إنما يكون وسيلة تقربه الى رغبات نفسه التي هي الشهرة وليست التقرب الى الله تعلى وعمله عند الله لا قيمة له[٢].

والأشر: البطر والمدح والبطر هو التكبر على الحق وعدم قبوله أو كراهية الشيء دون استحقاق ذلك الشيء الكراهية. وطغى بالنعمة واستخف بها جهلاً وكبراً ولم يشكرها.

والرياء والسمعة والأشر والبطر كلها أُمور تفسد العمل ولا تجعل له قيمة لذا فالداعي يطلب من الله تعالى أن يكون عملاً خالياً من هذه الأُمور.

---

(١) القلب السليم للسيد عبد الحسين دستغيب.

(٢) المصدر السابق.

﴿واجعلني من لك الخاشعين اللهم أعطني السعة في الرزق والأمن في الوطن وقرة العين فيالأهل والمال والولد والمقام في نعمك عندي والصحة في الجسم والقوة في البدن والسلامة في الدين واستعملني بطاعتك وطاعة رسولك (صلى الله عليه وآله وسلم) أبداً ما استعمرتني﴾

الخشوع تأثر خاص من المقهور قبال القاهر بحيث ينقطع عن غيره بالتوجه اليه وهو من صفات القلب ثم ينسب الى الجوارح أو غيرها[1]، أما علامة الخاشع فعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأربعة: «**مراقبة الله في السر والعلانية وركوب الجميل والتفكر ليوم القيامة والمناجاة لله**»[2].

والداعي لما يطلب من الله تعالى أن يجعله من الخاشعين فمعنى هذا أن يكون كله لله تعالى قلبه وجوارحه.

ويطلب الداعي بعد ذلك الصحة في الجسم والقوة في البدن والفرق بين الجسم والبدن أن الجسم هو معناه التجسم والتصور على شكل جسم الإنسان والصحة لها مظاهر تظهر على الجسم.

أما البدن فهو مجموع أعضاء جسم الإنسان فتماسكها ينتج القوة.

ومعنى ما استعمرتني أي ما فوضت اليَّ العمارة أو تعمير الأرض أو البقاء في الحياة عاملاً.

والمعنى العام لهذه الفقرة هو طلب الداعي أن يتم عليه النعمة وذلك في السعة

---

(١) الميزان في تفسير القرآن / ج ١٥ / ص ٦.

(٢) تحف العقول / ص ٢٢.

بالرزق والأمن في الوطن وقرة العين في الأهل والمال الولد يعني السرور به وجعلهم مصدر راحة وفرح وليس مصدر هم، والأهل معناها الزوجة وقد قُدمت على المال والولد لأهميتها وقربها ومشاركتها الرجل في السراء والضراء والصحة والقوة البدنية ويطلب كذلك أن يجعله يعمل بطاعته وطاعة رسوله ﷺ وقبل هذا السلامة في الدين أي سلامة الدين من الكفر والشرك والإلحاد والنفاق وغيرها من آفات الدين.

﴿واجعلني من أوفر عبادك عندك نصيباً في كل خير أنزلته في شهر رمضان في ليلة القدر وما أنت منزله في كل سنة من رحمة تنشرها وعافية تلبسها وبلية تدفعها وحسنات تتقبلها وسيئات تتجاوز عنها﴾

النشر: البسط.

لبس العافية: التمتع بها.

القدر معناه التقدير، فليلة القدر يقدر الله فيها حوادث السنة من الليلة الى مثلها في السنة القادمة من حياة وموت ورزق وسعادة وشقاء وغير ذلك حيث قال الله تعالى في صفة هذه الليلة: ﴿ فيها يفرق كل أمر حكيم من عندنا إنا كنا مرسلين رحمة من ربك ﴾[1] وهي ليلة متكررة بتكرر السنين تحدث كل سنة قمرية في شهر رمضان.

وقيل القدر يمعنى المنزلة وإنما سميت ليلة القدر للإلهام بمنزلتها أو منزلة المتعبدين فيها وقيل معنى القدر الضيق وسميت ليلة القدر لضيق الأرض فيها بنزول الملائكة[2].

---

(١) الدخان / ١.

(٢) الميزان في تفسير القرآن / ج ٢٠ / ص ٣٣٢.

وقد أشار الله تعالى الى هذه الليلة العظيمة في عدة آيات هذا غير سورة القدر التي تتحدث عن هذه الليلة المباركة وهي خير من ألف شهر لفضيلة العبادة فيها وفي حديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال موسى عليه السلام : « **إلهي أُريد قربك، قال: قربي لمن استيقظ ليلة القدر. قال: أُريد رحمتك. قال: رحمتي لمن رحم المساكين ليلة القدر. قال إلهي أُريد الجواز على الصراط. قال: ذلك لمن تصدق بصدقة ليلة القدر. قال: أُريد من أشجار الجنة وثمارها. قال: ذلك لمن يسبح تسبيحة في ليلة القدر. قال: أُريد النجاة. قال: النجاة من النار؟ قال: نعم. قال: ذلك لمن استغفر في ليلة القدر. قال: إلهي أُريد رضاك قال رضاي لمن صلى في ليلة القدر ركعتين** »(١).

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: « **يفتح أبواب السماوات في ليلة القدر فما من عبد يصلي فيها الا كتب الله له بكل سجدة شجرة في الجنة لو يسير الراكب في ظلها مئة عام لا يقطعها وبكل ركعة بيتاً في الجنة من در وياقوت وزبرجد ولؤلؤ وبكل آية تاجاً من تيجان الجنّة وبكل تسبيحة طائراً من العجب وبكل جلسة درجة من درجات الجنة وبكل تسليمة حلة من حلل الجنة** »(٢).

أما وقتها فيستفاد من الروايات أنها ليلة الثالث والعشرين وإنما لم يعين وقتها تعظيماً لأمرها وأن لا يستهان بها بارتكاب المعاصي.

وقد نزلت سورة القدر على الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم بعد ما رأى الرؤيا التي فيها بني أُمية ينزون على منبره فسلاه الله تعالى بهذه السورة حيث أخبره أن ليلة القدر خير

---

(١) من كتاب الزوائد والفوائد عن مصباح الكفعمي / ج ٢ / ص ٦٩٠.

(٢) المصدر السابق.

من مدة حكم بني أُمية التي هي ألف شهر[1].

والداعي يستغل توجهه لله تعالى فيطلب منه أن يجعل نصيبه أوفر النصيب في هذه الليلة لما فيها من خصوصية وقدر عند رب العالمين.

﴿وارزقني حج بيتك الحرام في عامنا هذا وفي كل عام وارزقني رزقاً واسعاً من فضلك الواسع واصرف عني يا سيدي الأسواء واقض عني الدين والظلامات حتى لا أتأذى بشيء منه﴾

الأسواء: المساوىء.

الظلامات: جمع ظليمة وهي ما تطلب عند الظالم ومعنى أقض عني الظلامات أي أقض عني أو وفقني لقضاء حقوق الناس التي رقبتي وردها.

ما دام الداعي يعرف كرم الله تعالى وجوده ورحمته فإنه لا يمل من طلب الخير وعرض الحاجات ولاسيما والفرصة مواتية لذلك حيث هو مقبل بكل حواسه على الله تعالى وقد بدأ بدعائه بالتحميد والتمجيد لله تعالى واعترف بخطاياه ومعاصيه وطلب الإقالة منها وأدى أركان الدعاء وأسبابه وقرأه في وقت مستحب[2] فلا بأس أن يقتنص هذه الفرصة لينتهل من كرم الكريم المطلق.

﴿وخذ عني بأسماع وأبصار أعدائي وحسادي والباغين عليّ وانصرني

---

(١) الميزان في تفسير القرآن / م ٢٠ / ص

(٢) يقول الشيخ الكفعمي ﷺ ان للدعاء أركاناً وأسباباً فأركان الدعاء هي حضور القلب والرقة والإستكانة والخشوع وتعلق القلب بالله وقطعه عن الأسباب وأسبابه الصلاة على محمد وآله ﷺ وأوقاته الأسحار وأجنحته الصدق.

عليهم وأقر عيني وحقق ظني وفرّج قلبي واجعل لي من همي وكربي فرجاً ومخرجاً واجعل من أرادني بسوءٍ من جميع خلقك تحت قدمي ﴾

حتى لا يتشغل بكيد الأعداء أو يشغله كيدهم وحسدهم وعداءهم، يدعو الله تعالى ليجعل همه ذكر الله وطاعته وليكفيه الله تعالى شرهم ويجعله بذلك قرير العين مرتاح البال. وأن يجعل له من أمره فرجاً ومخرجاً ويجعل من أراده بسوء تحت قدميه وأسفل منه حتى لا يتأذى بسوءه ومكايده.

﴿واكفني شرّ الشيطان وشرّ السلطان وسيئات عملي وطهرني من الذنوب كلها وأجرني من النار بعفوك وأدخلني الجنة برحمتك وزوجني الحور العين بفضلك وألحقني بأوليائك الصالحين محمد وآله الأبرار الطيبين الطاهرين الأخيار صلواتك عليهم وعلى أجسادهم وأرواحهم ورحمة الله وبركاته ﴾

الشيطان في اللغة الشرير، غلب استعماله في إبليس لشرارته وقيل الشيطان من شطن أي تباعد فكأنه تباعد إذا ذكر الله تعالى وقيل أنه من شاط يشيط إذا احترق غضباً لأنه يحترق ويغضب إذا أطاع العبد فيقول الرسول ﷺ: «**إن الشيطان لا يزال يراقب العبد ويوسوس له في نومه ويقظته**»، وهو جسم لطيف هوائي يمكنه أن يصل الى ذلك والإنسان غار غافل فيوصل كلامه ووسواسه الى باطن أذنه فيصير الى قلبه والله تعالى هو العالم بكيفية ذلك، فأما وسواسه فلا شك فيه والشيطان اسم جنس ولا يراد به إبليس فحسب وذلك لأن له أولاداً وأعواناً[1].

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن للطوسي.

أما السلطان فهو المَلِك وسمي بذلك لأن له القدرة على إقامة الحدود والحقوق.

وللسلطان أهمية في استتاب النظام ونشر العدل وحفظ أموال الناس ودماءهم وأعراضهم واذا أراد الله برعيه خيراً قيض لهما حاكماً عادلاً رحيماً. وقد قال الإمام علي عليه السلام في ذلك: «**السلطان وزعة الله في أرضه**»[١] ومعنى وزعة الله: الوالي المانع عن محارم الله تعالى. وقال الامام الرضا عليه السلام: «**السلطان العادل المتواضع ظل الله ورمحه في الأرض**»[٢].

أما إذا كان السلطان على عكس ذلك فإن ظلمه يترك الديار بلقعاً وإذا لم يكن السلطان مقيماً لحدود الله تعالى ولا يحكم بما أنزل الله فإن الدخول عليه يضر الدين ويُذهب الورع فعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «**ما اقترب عبد من سلطان الا تباعد عن الله تعالى ولا كثر ماله الا اشتد حسابه**»[٣]، وقال أيضاً صلى الله عليه وآله وسلم: «**إياكم وأبواب السلطان وحواشيها فإن أقربكم من أبواب السلطان وحواشيها أبعدكم من الله عز وجل ومن آثر السلطان على الله عز وجل أذهب الله عنه الورع وجعله حيران**»[٤].

وللحاكم الظالم مخاطر دنيوية وأخروية فالدنيوية سرعة البطش وعدم الرحمة وصاحب السلطان كراكب الأسد، الناس تغبطه على موقعه وهو أعلم بموضعه على حد قول الامام علي عليه السلام، أما الآثار الأخروية فصاحب السلطان يكون قرينه في

(١) نهج البلاغة.
(٢) كنز العمال.
(٣) ثواب الأعمال للشيخ الصدوق.
(٤) بحار الانوار / ج ٧٥ / ص ٣٧٢.

النار والداعي يتعوذ بالله تعالى من الشيطان والسلطان ويدعو أن يطهره من الذنوب وسيئات الأعمال ويأجره من النار بعفوه ويدخله الجنة بفضله ويلحقه بالصالحين ويزوجه من الحور العين والحور: البيض النقيات في حسن وكمال والعين الواسعات الأعين في صفاء وبهاء ومعنى التزويج الاقران على وجه التمتيع لهم والتنعيم.

﴿الهي وسيدي وعزتك وجلالك لئن طالبتني بذنوبي لأطالبنك بعفوك ولئن طالبتني بلؤمي لأطالبنك بكرمك ولئن أدخلتني النار لأخبرن أهل النار بحبي لك﴾

لكل داء دواء وكل شيء مهما كبر الله أكبر منه وأجل فإن كانت الذنوب كثيرة فعفو الله أوسع ومهما كان العبد لئيماً فإن الله أكرم وأجود ورحمته سبقت غضبه ولا ينسى الداعي حبه لله تعالى حتى في جهنم فإذا تركه الله تعالى ناطقاً فسيخبر أهل النار بحبه لله تعالى.

﴿الهي وسيدي ان كنت لا تغفر الا لأوليائك وأهل طاعتك فالى من يفزع المذنبون وان كنتَ لا تكرم الا أهل الوفاء بك فبمن يستغيث المسيئون﴾

مرة بعد أُخرى يلهم الامام الداعي أن يجرب الإعتذار بعد آخر ووسيلة بعد أُخرى لعله يوصل لما يريد، ففي المقطع الأول من هذه الفقرة يطالب الله تعالى بعفوه لذنوبه وبكرمه تعالى للؤمه ثم اذا هو لم يغفر له فسوف يستخدم وسيلة أُخرى هي حب الله تعالى للتقرب والتزلف له. ثم هنا يتسائل اذا كنت يا ربي لا تغفر الا لأوليائك وأهل طاعتك فإلى من يفزع المذنبون واذا كان كرم رب العالمين فقط لأهل الوفاء به فبمن يستغيث المسيئون وهذا يذكرنا بأبيات للشاعر أبي نؤاس:

يا رب إن عظمت ذنوبي كثرة فلقد علمت بأن عفوك أعظم
إن كان لا يرجوك الا محسن فبمن يلوذ ويستجير المجرم
أدعوك رب كما أمرت تضرعاً فإذا رددت يدي فمن ذا يرحم

وكلنا لسان حالنا هذه الأبيات ورجاءنا رحمة الله ورضاه وعفوه.

﴿الهي إن أدخلتني الجنة ففي ذلك سرور نبيك وان أدخلتني النار ففي ذلك سرور عدوك وأنا ـ والله ـ أعلم أن سرور نبيك أحب اليك من سرور عدوك﴾

ثم يوحي الامام للداعي أن يتزلف بعد ذلك بجاه النبي ﷺ وبما أنه من أُمة محمد ﷺ فإن دخوله النار يسبب حزناً لمحمد ﷺ وفرحاً لأبليس اللعين وهذا ما لا يحبه الله تعالى أما دخوله الجنة فإنه سرور للنبي محمد ﷺ لأنه من أُمته وفي يوم القيامة يتبع اتباع الرسول ﷺ نبيهم وهاديهم عليه أفضل وأزكى وأنمى الصلوات والتحيات وعلى آله، وبذلك يفتخر ﷺ بكثرة الأتباع والموالين وعلى هذا لو لم يكن دخوله الجنة لاستحقاقه بل فقط لأنه يسبب فرحاً لقلب النبي ﷺ وذلك أحب الى الله تعالى وربما يكون هذا السبب للعفو عنه آخر سهم في كنانته يتزلف به الى الله تعالى.

﴿اللهم إني أسألك أن تملأ قلبي حباً لك وخشية منك وتصديقاً بكتابك وإيماناً بك وفرقاً منك وشوقاً اليك يا ذا الجلال والإكرام حبب اليّ لقاءك وأحبب لقائي واجعل لي في لقاءك الراحة والفرج والكرامة﴾

ثم يسأل الله تعالى عناصر تبدو متناقضة لكنها رحمة الله وقدرته تتآلف مثل الحب لله والخشية منه والأيمان والفرق (شدة الخوف) والشوق والدعاء لله تعالى

يحمل عدة عناصر متباينة لا عنصراً واحداً.

ومعنى يا ذا الجلال والإكرام أي يا من هو جليل أو يستحق الإجلال والتكريم ولا يستحق العصيان والكفر أما لقاء الله تعالى فهو معناه صفاء القلب حيث يكون مرآة لتجلي الآيات وصفات الله تعالى الجماليه والجلالية وهذا يتطلب تقوى تامة وانصراف القلب عن العالم الدنيوي وحب الذات والتنزه عن عصيان الله تعالى وفي هذا يُحدث بعض أصحاب الامام الصادق عليه السلام: «قال: قلت: أصلحك الله من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن أبغض لقاء الله أبغض الله لقاءه؟ قال نعم. قلت: فوالله إنا لنكره الموت. فقال: **ليس ذلك حيث تذهب إنما ذلك عند المعاينة إذا رأى ما يحب فليس شيء أحب اليه من أن يقدم على الله والله تعالى يحب لقاءه وهو يحب لقاءه حينئذٍ وإذا رأى ما يكره فليس شيء أبغض اليه من لقاء الله والله يبغض لقاءه**»[1].

وحب لقاء الله وبغضه يتجلى في لحظة المعاينة حيث يرى المؤمن والكافر مقعدهما في الآخرة.

﴿اللهم ألحقني بصالح من مضى واجعلني من صالح من بقي وخذ بي سبيل الصالحين وأعني على نفسي بما تعين به الصالحين على أنفسهم واختم عملي بأحسنه واجعل ثوابي منه الجنة برحمتك وأعني على صالح ما أعطيتني وثبتني يا رب ولا تردني في سوء استنقذتني منه يا رب العالمين﴾

المعنى العام: اللهم اجعلني من الصالحين سواء في موتي بحيث يكون موتي

---

(١) الأربعين حديثاً للإمام الخميني.

(صالحاً لحق بالصالحين) وفي حياتي أكون صالحاً مع الصالحين ووفقني لأعمال وحياة الصالحين وأعني على نفسي لأن النفس أضر على الإنسان من الدويبة وهي التي تورد الإنسان مورد الهلكة بحب الشهوات واجتناب طريق الحق والتكبر عليه. وقد حذرت جملة من الآثار الشريفة عن المعصومين من اتباع النفس حيث في البدء لما خلقها الله تعالى ألهمها فجورها وتقواها وبين لها طريق الخير والشر وفي دعاء للإمام زين العابدين عليه السلام يقول: « **إلهي أشكو اليك نفساً بالسوء أمّارة والى الخطيئة مبادرة وبمعاصيك مولعة كثيرة العلل طويلة الأمل إن مسها الشر تجزع وإن مسها الخير تمنع ميالة الى اللعب واللهو مملوءة بالغفلة والسهو تسرع بي الى الحوبة وتسوّفني بالتوبة** »[1].

ويطلب الداعي كذلك أن يختم له بأحسن الأعمال ويثيبه على عمله بالجنة وهي مطالب طالما تكررت في الدعاء وهو من باب الإلحاح.

﴿اللهم إني أسألك ايماناً لا أجل له دون لقائك أحيني ما أحييتني عليه وتوفني إذا توفيتني عليه وابعثني إذا بعثتني عليه﴾

الإيمان على نوعين مستقر ومستودع فعن أمير المؤمنين عليه السلام قال: « **فمن الإيمان ما يكون ثابتاً مستقراً في القلوب وما يكون عواري بين القلوب والصدور الى أجل معلوم فإذا كانت لكم براءة من أحد فعفوه حتى يحضره الموت فعند ذلك يقع حد البراءة** »[2] وقال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في وصيته لكميل بن زياد رحمه الله: « **يا كميل إنه مستقر**

(١) مناجاة الشاكين / الصحيفة السجادية.

(٢) نهج البلاغة.

ومستودع واحذر أن تكون من المستودعين يا كميل إنما تستحق أن تكون مستقراً إذا لزمت الجادة الواضحة التي لا تخرج الى عوج ولا تزيلك عن منهج ما حملناك عليه وما هديناك اليه »[1].

هذامعناه أن الإيمان قد يبقى في الصدر خمسين أو ستين سنة ثم يخرج ليصبح صاحبه عارياً من الإيمان وقدعاصر الأئمة أُناس طالما صحبوا الأئمة ثم بعد ذلك انحرفوا انحرافاً خطيراً كابن أبي الخطاب الذي ادعى النبوة وادعى أن الله تعالى حل في الإمام الصادق عليه السلام (تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً) وقد تبرأ الإمام الصادق منه ولعنه.

أما كيفية التفريق بين الإيمان المستقر والمستودع لدى الإنسان فهو العمل بالعلم أي المقياس هو التطبيق العملي للإسلام، أما إذا كان العلم فقط قولاً على اللسان فالإيمان مستودع وفي لحظة الإمتحان والبلاء تتوضح حالة الإيمان أو هوية الإيمان. أما ما الذي يثبت الإيمان؟ فقد سئل الإمام الصادق عليه السلام قال: « **الذي يثبته فيه الورع والذي يخرجه الطمع** »[2].

﴿ وابرء قلبي من الرياء والشك والسمعة في دينك ﴾

مر من قبل معنى الرياء والسمعة أما الشك معناه التساوي في احتمال وجود شيء وعدمه و التساوي في احتمال صحة أمر وعدمه حيث يكون الوجود والعدم ككفتي الميزان حيث يكون الشك والتردد والحيرة وقد قال أمير المؤمنين عليه السلام: « **لا تشكوا**

---

(١) بحار الانوار / ج ٧٧ / ص ٢٧٢.

(٢) بحار الانوار / ج ٧٠ / ص ٣٠٤.

فتكفروا» أي أن الشك يوصل الى الكفر والجحود ومن ثمراته فساد الدين أو احباط الإيمان. والشك على أربع شعب: على التماري والهول والتردد والإستسلام فمن جعل المراء (النقاش العظيم) ديدناً لم يصبح ليله ومن هاله ما بين يديه نكص على عقبيه ومن تردد في الريب وطئته سنابك الشياطين ومن استسلم لهلكة الدنيا والآخرة هلك فيهما[١].

أما علاج الشك فهو أن يتذكر أولاً قضية بديهية هي أن النقيضين لا يجتمعان ولا يرتفعان ومنه يعلم إجمالاً أن أحد الشقوق العقلية المتصورة في المطلوب ثابت والباقي باطل ثم يتصفح المقدمات المناسبة للمطلوب ويعرضها على القياسات المنطقية باستقصاء بليغ واحتياط تام في كل طرف حيث يقف على موضع الخطأ ويجزم بأحقية أحد الشقوق وبطلان الآخر ويواظب على العبادة وقراءة القرآن ويشغل بمطالعة الأحاديث وسماعها ويجالس الصلحاء والمتقين وأصحاب الورع وأصحاب اليقين لتكتسب نفسه بذلك نورانية يدفع بها ظلمة شكه[٢].

﴿وفهماً في حكمك﴾

الحكمة هي الرأي والإعتقاد الذي يطابقه الواقع ويلازمه الرشد من غير غي، هذا يعني انها الرأي الذي أحكم في صدقه فلا يتخلله كذب وفي نفعه فلا يعقبه ضرر. وخلاصة ذلك أن الحكمة = قول صدق + عمال نافع. وقد أشار الله تعالى الى اشتمال

---

(١) نهج البلاغة.

(٢) جامع السعادات /ج ١/ ص ١٠٠.

الدعوة على الحكمة بقوله: ﴿ وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة ﴾[١] ووصف كلامه المنزل بها فقال: ﴿ والقرآن الحكيم ﴾[٢].

وعد رسوله صلى الله عليه وآله وسلم معلماً للحكمة في مواضع من كلامه الشريف ﴿ ويعلمهم الكتاب والحكمة ﴾[٣].[٤]

وقد سئل الامام الصادق عليه السلام عن قول الله ﴿ يؤت الحكمة من يشاء ﴾ فقال عليه السلام: « **هي طاعة الله ومعرفة الإمام**»[٥]. وعن الإمام الصادق عليه السلام أيضاً حيث قال عن الحكمة: « **ان الحكمة المعرفة والتفقه في الدين فمن فقه منكم فهو حكيم** »[٦] وروي عن الامام الكاظم عليه السلام أنه قيل للقمان: ما يجمع من حكمتك؟ قال: لا أسأل عما كفيته ولا أتكلف ما لا يعنيني[٧].

أما ما يورث الحكمة فقد سئل لقمان الحكيم عن ذلك فقيل له: ألست عبد آل فلان؟ قال: بلى. قيل فما بلغ بك ما نرى؟ قال: صدق الحديث وأداء الأمانة وترك ما لا يعنيني وغض بصري وكف لساني وعفة طعمتي فمن نقص عن هذا فهو دوني ومن

---

(١) النساء / ١١٣.
(٢) يس / ٢.
(٣) الجمعة / ٢.
(٤) الميزان في تفسير القرآن / م ١٩ / ص ٢٧١.
(٥) بحار الانوار / ج ١ / ص ٢١٥.
(٦) بحار الانوار / ج ١ / ص ٢١٥.
(٧) بحار الانوار / ج ١٣ / ص ٤١٥.

زادعليه فهو فوقي ومن عمله فهو مثلي[1].

﴿وفقهاً في علمك﴾

الفقه: تفهم جميع المعارف الدينية من أصول وفروع هذا معناه اصطلاحياً، أما معنى الفقه لغوياً فهو العلم المقرون بالعمل فلا ينافي كون مطلق العلم من علاماته أو المراد بالفقه التفكر والتدبر في الأمور ويظهر من بعض الأخبار أن الفقه هو العلم الرباني المستقر بالقلب الذي تظهر آثاره على الجوارح وفي مجمع البحرين قال بعض الأعلام الفقه هو التوصل الى علم غائب بعلم شاهد ويسمى العلم بالأحكام فقهاً والفقيه الذي علم ذلك واهتدى به الى استنباط ما خفي عليه[2].

وقال بعض الشارحين في معنى الفقه: ليس المراد به الفقه بمعنى الفهم فإنه لا يناسب المقام ولا العلم بالأحكام الشرعية عن أدلتها التفصيلية فإنه مستحدث بل المراد البصيرة في أمر الدين[3].

وقد ورد الحث على تعلم الفقه حيث قال الامام الصادق عليه السلام: «**عليكم بالتفقه في دين الله ولا تكونوا أعراباً فإنه من لم يتفقه في دين الله لم ينظر اليه يوم القيامة ولم يزك له عملاً**»[4]، وظاهر هذا الحديث أنه يجب على كل مسلم تعلم المسائل التي يبتلى بها في عباداته ومعاملاته اليومية.

---

(١) تنبيه الخواطر.
(٢) سفينة البحار / ج ٧ / ص ١٤١.
(٣) المصدر السابق.
(٤) جامع السعادات / ج ١ / ص ١١٠.

﴿وكفلين من رحمتك﴾

الكفل ما يحفظ الراكب من خلفه وهو شيء مستدير يتخذ من خرق وغيرها ويوضع على سنام البعير والكفل جزء من الظهر.

وكفلين من رحمتك: نصيبين أو أجرين أو حظين وهو نصيب الدنيا ونصيب الآخرة أو بمعنى يؤتيه الله تعالى إيماناً فوق إيمانٍ أو مرتبةً فوق مرتبةٍ.

﴿وورعاً يحجزني عن معاصيك﴾

الورع في اللغة: الإبتعاد عن الإثم والكف عن الشبهات والمعاصي وتورع عنه: تعفف عنه وتجنبه، وعن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: « **إنما الورع التحري في المكاسب والكف عن المطالب** » أي الأطماع[1].

وسئل الامام علي عليه السلام: « **ما ثبات الإيمان؟ فقال: الورع فقيل له: ما زواله؟ قال: الطمع** »[2].

وقد اعتبر الورع من شروط أتباع أهل البيت:، فعن الإمام الباقر عليه السلام قال خيثمة: **دخلت عليه لأودعه فقال: أبلغ موالينا السلام عنا وأوصهم بتقوى الله العظيم وأعلمهم يا خيثمة أنّا لا نغني عنهم من الله شيئاً الا بعمل ولن ينالوا ولايتنا الا بورع** »[3].

وعن الامام الصادق عليه السلام: « **كثيراً ما كنت أسمع أبي عليه السلام يقول: ليس من شيعتنا من لا تتحدث المخدرات بورعه في خدرهن وليس من أوليائنا من هو في قرية فيها**

---

(١) غرر الحكم.

(٢) غرر الحكم.

(٣) سفينة البحار /ج ٨، مادة ورع.

عشرة آلاف رجل فيهم من خلق الله أورع منه»[1].

وللورع ثمرات منها: أنه يكون سبباً لصلاح النفس والدين حيث يزين المروءة ويصون النفس وينقص الإثم[2]. وبعكس الوَرع يكون المخلط الذي يخالط الحلال مع الشبهات والتخليط هو الإفساد حيث يحصل الفساد بين الأضداد كجمع الخل والعسل حيث يكون الفساد في الدين.

﴿وبيّض وجهي بنورك واجعل رغبتي فيما عندك وتوفني في سبيلك وعلى ملة رسولك (صلى الله عليه وآله وسلم)﴾

ويطلب أن يبيض الله وجهه وبياض الوجه يقسم قسمين بياض الوجه المعنوي والمادي ومعنى بياض الوجه المعنوي طهارة الذيل وبراءة الإنسان من الدنس أما البياض المادي فهو أن يكسيه الله من نوره، فعن الإمام الصادق عليه السلام قال: **«طلبت نور الوجه فوجدته في صلاة الليل»**[3]، وسئل الامام علي بن الحسن عليهما السلام: ما بال المتهجدين بالليل من أحسن الناس وجهاً؟ قال: **لأنهم خلوا بالله فكساهم من نوره**[4]. هذا في الدنيا، أما في الآخرة فهناك من يبعث يوم القيامة وقد كساه الله من نوره مكافأة لهم عن أعمالهم والأعمال هي منها: رمي الجمار في الحج وشهادة حق شهد بها ليحيي حق امرىء مسلم والصلاة نور وكذلك تلاوة القرآن.

---

(١) سفينة البحار / ج ٨، مادة ورع.

(٢) مقتبس من غرر الحكم.

(٣) مستدرك الوسائل / ج ٢ / ص ٣٥٧.

(٤) علل الشرائع / ص ٣٦٦.

ويدعو أن يجعل رغبته فيما عند الله حيث من يكون هكذا تصغر الدنيا في عينه ويزهد فيها.

وأن يتوفاه الله في سبيله ومن يقتل في سبيل الله فقد استحق الخلود المقيم، فعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: « **فوق كل بر بر حتى يقتل الرجل في سبيل الله فإذا قتل في سبيل الله عز وجل فليس فوقه بر** »[1].

وسئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ما بال المؤمنين يفتنون في قبورهم الا الشهيد؟ فقال: **كفى ببارقة السيوف على رأسه فتنة**[2].

وفي حديث لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في فضل الغزاة في سبيل الله قال: « **وإذا زال الشهيد عن فرسه بطعنة أو ضربة لم يصل الى الأرض حتى يبعث الله عز وجل زوجته من الحور العين فتبشره لما أعد الله له من الكرامة فإذا وصل الى الأرض تقول له مرحباً بالروح الطيبة التي أخرجت من البدن الطيب أبشر فإن لك ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر** »[3].

﴿اللهم إني أعوذ بك من الكسل والفشل﴾

يتعوذ الداعي بالله تعالى من الكسل والكسل هو التواني والفتور والتثاقل عما لا ينبغي أن يتوانى عنه والكسل يضر بالدين والدنيا[4] وينتج عنه الفقر حيث قال الامام

---

(١) بحرا الأنوار / م ١٠٠ / ص ١٠.

(٢) كنز العمال.

(٣) سفينة البحار / ج ٤ / ص ٥١٣.

(٤) من حديث للامام الباقر عليه السلام، البحار / م ٧٨ / ص ١٨٠.

علي عليه السلام : «**إن الأشياء لما ازدوجت ازدوج الكسل والعجز فنتج منهما الفقر**»[1]، وللكسلان علامات ثلاث، فعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «... **يتوانى حتى يفرط ويفرط حتى يُضيِّع ويُضيِّع حتى يأثم ويضجر**»[2].

أما الفشل فهو ضعف وتراخي وجبن عند حرب أو شدة أو بلغتنا بالوقت الحاضر هو التردد حيث يوجد عند ضعاف الشخصية، وبالتردد تضيع الفرص النادرة ولا يحصد المتردد غير الخسران والندم وبعكس التردد الإقدام.

﴿والهم والجبن والبخل والغفلة والقسوة﴾

والهم هو القلق والحزن والفرق بين الهم والغم أن الهم ما يقدر الإنسان على إزالته كالإفلاس أما الغم ما لا يقدر الإنسان على إزالته كموت الولد أو أن الهم قبل نزول المكروه والغم بعده أو أن الهم ما لا يُعلم سببه والغم ما يعلم[3].

وقد وردت روايات عن آل البيت: أن هناك جملة من الأفعال توجب الهم منها: الجلوس على عتبة الباب وشق الغنم مروراً مما بينها ولبس السراويل من قيام ومسح اليد والوجه بذيل الثوب وزادت بعض الروايات الأخرى: تجفيف الوجه بالكم وقص شعر اللحية بالأسنان ولبس النعل الأسود والجلوس على ما يبري القلم والمشي على قشر البيض وقطع الثوب يوم الأحد والإستنجاء باليمين والأكل بالشمال والمشي

---

(١) بحار الانوار / ج ٧٨ / ص ١٨٠.

(٢) تحف العقول / ص ٢٣.

(٣) سفينة البحار / ج ٨.

فيما بين القبور والضحك بين المقابر[1].

أما الأمور المزيلة للهم: المشي والركوب والإرتماس في الماء والنظر في الخضرة والأكل والشرب والنظر الى المرأة الحسناء والسواك ومحادثة الخلان وغسل الثياب وتنظيفها وغسل الثياب بالخطمي وقول لا حول ولا قوة الا بالله العظيم وتسبيح النبي يونس عليه السلام[2].

أما الجبن فهو سكون النفس عن الحركة الى الإنتقام أو غيره ويلزم هذه الصفة من الأعراض الذميمة مهانة النفس والذلة وسوء العيش وطمع الناس فيما يملكه وقلة ثباته في الأمور والكسل وحب الراحة وهو يوجب الحرمان من السعادات بأسرها وتمكين الظالمين من الظلم عليه وتحمله للفضائح في نفسه وأهله واستماع الشتائم والقذف وعدم مبالاته بما يوجب الفضيحة والعار تعطيل مقاصده ومهماته، لذا ورد في ذمه من الشريعة ما ورد حيث قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**لا ينبغي للمؤمن أن يكون بخيلاً ولا جباناً**»[3].

أما البخل فهو الإمساك حيث ينبغي البذل وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يتعوذ من البخل صباحاً ومساءً وكذا أهل بيته، وكفى في عاقبة البخل أن قوم لوط كانوا أهل قرية أشحاء على الطعام فأعقبهم البخل داءً لا دواء له[4].

---

(١) مرآة الكمال / ج ٣ / ص ٥٩٠.

(٢) المصدر السابق.

(٣) جامع السعادات / ج ١.

(٤) المصدر السابق.

وهو من ثمرات حب الدنيا ونتائجه وهو من خبائث الصفات ورذائل الاخلاق ولذا ورد في ذمه ما ورد من الآيات والأخبار، قال الله سبحانه: ﴿ الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله ﴾[١] وقال الله تعالى: ﴿ ولا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة ﴾[٢].

وقد اشتهر جملة من الأشخاص في التاريخ ببخلهم منهم هشام بن عبد الملك والمنصور الدوانيقي والجاحظ. فمن مظاهر بخل هشام بن عبد الملك أنه كان يقول: «ضع الدرهم على الدرهم يكون مالاً»[٣] وقد جمع من المال ما لم يجمعه خليفة قبله[٤] وقال: ما ندمت على شيء ندامتي على ما أهب أن الخلافة تحتاج الى الأموال كاحتياج المريض الى الدواء[٥]. ودخل بستان له فيه فاكهة فجعل أصحابه يأكلون من ثمرها فأوعز الى غلامه بقلع الأشجار وزراعة الزيتون لئلا يأكل منه أحد[٦].

وما جاء في بخل المنصور الدوانيقي أنه لدغ فدعى مولى له يقال أسلم الرقّاء فأمره أن يرقيه فرقّاه فبرء فأمر له برغيف فأخذ أسلم الرغيف فنقبه وصيره في عنقه وجعل يقول رقيت مولاي فبرء فأمر لي برغيف. فبلغ المنصور ذلك فقال: لم آمرك أن

---

(١) النساء / ٣٦.

(٢) آل عمران / ١٨٠.

(٣) حياة الامام الباقر عليه السلام لباقر شريف القرشي / ج ٢.

(٤) المصدر السابق.

(٥) المصدر السابق.

(٦) المصدر السابق.

تُشنع عليَّ قال: لم أُشنع عليك إنما أُخبرت بما أمرت، فأمر أن يصفع ثلاثة أيام في كل يوم ثلاث صفعات.

وقيل للإمام الصادق عليه السلام: ان أبا جعفر المنصور لا يلبس الا الخشن ولا يأكل الا الجشب. فقال: ويحه مع ما قد مكّن الله له من السلطان وجيء اليه من الأموال؟ فقيل: إنما يفعل ذلك بخلاً وجمعاً للأموال. فقال: الحمد لله الذي حرمه من دنياه كما ترك من آخرته[1].

وأما الغفلة فقد مر شرحها من قبل، أما القسوة فهي تعني الشدة والغلظة في القلب بحيث يصبح لا يخضع للحق ولا يخشع أمامه ولا يصبح ذليلاً أمامه ولا تؤثر فيه المشاهد التي تدعو للرقة كتأوّه المظلوم أو شكوى يتيم أو سوء حال فقير وغيره. وقد وردت القسوة في القرآن الكريم، كقوله تعالى: ﴿ فبما نقضهم ميثاقهم لعنّاهم وجعلنا قلوبهم قاسية ﴾[2]، وكذلك قوله تعالى: ﴿ فمن شرح صدره للإسلام فهو على نور من ربه فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله ﴾[3]. ولقسوة القلب أسباب منها:

١ ـ الذنوب وكلما أذنب العبد ذنباً زاد في قساوه قلبه ما لم يسارع الى التوبة، فعن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «ما جفت العيون الا من قسوة القلوب وما قست القلوب الا لكثرة الذنوب»[4].

٢ ـ طول الأمل: ومعنى طول الأمل الرغبات والآمال الدنيوية التي تعصف

---

(١) سفينة البحار / ج ١ / ص ٢٣٤.

(٢) المائدة / ١٣.

(٣) الزمر / ٢٢.

(٤) علل الشرائع.

وتمتلك قلب العبد وميول النفس التي تتولد في سبيل تحقيقها مطالب لا نهاية لها بحيث تصبح هذه المطالب حجباً تحجب القلب عن ذكر الله.

٣ ـ الشره: وهو حب الأكل، فعن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قال: «**لا تميتوا القلوب بكثرة الطعام والشراب فإن القلوب تموت كالزرع إذا كثر عليه الماء**»[١] وعن أمير المؤمنين عليه السلام: «**إياكم والبطنة فإنها مقساة للقلب مكسلة عن الصلاة مفسدة للجسد**»[٢].

٤ ـ اللغو: فعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: «**كان المسيح عليه السلام يقول لا تكثروا الكلام في غير ذكر الله فإن الذين يكثرون الكلام في غير ذكر الله قاسية قلوبهم ولكن لا يعلمون**»[٣].

ولقسوة القلوب نتائج مثل عدم الخوف والرهبة من الله تعالى وعقابه ويكون سبباً لمقارفة الكبائر كقطع صلة الرحم.

٥ ـ كثرة النوم: حيث يسبب الضعف والكسل عن الطاعات والعبادات وضياع الأوقات والغفلة ونسيان الآخرة.

٦ ـ الثراء الفاحش: فعن أمير المؤمنين عليه السلام ما مضمونه: «يكون الهم في جمعه وادخاره والإستزادة منه ولم يكن مهتماً بتحصيل الايمان والعمل الصالح والإستزادة من زاد الآخرة كما أنه يقصر عن أداء حق الله تعالى في ثروته وكذلك يتعلق القلب بالمال ويضحى همُّه الزيادة فيبتعد عن الله وعن تذكر عالم ما بعد الموت ويفقد

---

(١) وسائل الشيعة.

(٢) المصدر السابق.

(٣) وسائل الشيعة / الباب ١٢.

الرحمة والرقة نحو الفقراء والمعوزين ».

٧ ـ الغفلة : لأنها تقود الى قساوة القلب ، وقد قال الامام الباقر عليه السلام لجعفر الجعفي : « **إياك والغفلة ففيها يكون قساوة القلب** »[1] .[2]

﴿ والذلة والمسكنة والفقر والفاقة ﴾

ومعنى الذلة التخاسس والتقليل من قيمة النفس والإنكسار والتذلل للآخرين والذلة لها مظاهر أو أسباب منها :

١ ـ الطمع والحرص على الدنيا ، فعن أمير المؤمنين عليه السلام : « **الطمع أحد الذلين** »[3] وقال الامام الباقر عليه السلام : « **لا ذل كذل الطمع** »[4] وقيل لأمير المؤمنين عليه السلام : أي ذل أذل ؟ قال : **الحرص على الدنيا**[5] .

٢ ـ ترك الجهاد في سبيل الله ، فعن الامام الصادق عليه السلام : « **من أحب الحياة ذل** »[6] .

٣ ـ الشكوى وكشف الضر ، فعن الامام علي عليه السلام قال : « **رضى بالذل من كشف عن ضره** »[7] .

---

(١) القلب السليم للسيد عبد الحسين دستغيب بتصرف .

(٢) بحار الانوار / ج ٧٨ / ص ٢٠٣.

(٣) بحار الانوار / ج ٧٨ / ص ١٥٩.

(٤) غرر الحكم .

(٥) بحرا الانوار / ج ٧٧ / ص ٣٧٧.

(٦) بحار الانوار / ج ٧٦ / ص ٢٢١.

(٧) بحار الانوار / ج ٧٨ / ص ٣٨.

٤ ـ الاغترار بغير الله، حيث قال الامام علي: **«من اعتز بغير الله أهلكه العز»**[١].

٥ ـ الظلم وإهانة الناس فعلى سبيل المثال جاء رجل للصادق عليه السلام فقال: إنه وقع بيني وبين قوم منازعة في أمر وإني أريد أن أتركه فيقال لي: إن تركك له ذل. فقال عليه السلام: **«إنما الذليل الظالم»**[٢] وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: **«أذل الناس من أهان الناس»**[٣].

ويتعوذ الداعي كذلك من الفقر والفقر على أربع وجوه:

١ ـ وجود الحاجة الضرورية وذلك عام للإنسان في دار الدنيا بل عام للموجودات كلها، قال الله تعالى: ﴿ **أنتم الفقراء الى الله** ﴾[٤].

٢ ـ عدم المقتنيات وهو المذكور في قوله تعالى: ﴿ **للفقراء الذين أُحصروا في سبيل الله** ﴾[٥].

٣ ـ فقر النفس وهو الشره المعني بقول الإمام الصادق عليه السلام: **«كاد الفقر أن يكون كفراً»**[٦].

٤ ـ الفقر الى الله تعالى المشار اليه في قوله صلى الله عليه وآله وسلم: **«أغنني بالإفتقار اليك ولا**

---

(١) غرر الحكم.

(٢) بحار الانوار / ج ٧٨ / ص ٢٠٣.

(٣) بحار الانوار / ج ٧٥ / ص ١٤٢.

(٤) فاطر / ١٥.

(٥) البقرة / ٢٧٣.

(٦) سفينة البحار / ج ٧ / ص ١٣٢.

تفقرني بالإستغناء عنك» وأصل الفقير المكسور الفقار[1].

وفي مرارة الفقر قال لقمان لابنه: «إعلم يا بني أني قد ذقت الصبر وأنواع المر فلم أر أمر من الفقر فإذا افتقرت يوماً فاجعل فقرك بينك وبين الله ولا تحدث الناس بفقرك فتهون ثم سل في الناس هل من أحد دعا الله فلم يجبه أو سأله فلم يعطه»[2].

والفاقة هي مرادفة للفقر ومعناها الحاجة.

﴿وكل بلية والفواحش ما ظهر منها وما بطن﴾

ويتعوذ بالله تعالى من كل بلية أما الفواحش: جمع فاحشة وهي الأمر الشنيع المستقبح وقد عد الله منها في كلامه: الزنا واللواط وقذف المحصنات المراد ما ظهر منها العلانية كالزنا العلني وما بطن اتخاذ الأخدان والأخلاء سراً[3].

والإثم هو الذنب الذي يستعقب انحطاط الإنسان في حياته وذلةً وهواناً وسقوطاً كشرب الخمر الذي يستعقب للإنسان تهلكه في جاهه وماله وعرضه ونفسه ونحو ذلك[4].

وبعد فإن مجانبة الذنوب والمعاصي هو توفيق من الله تعالى فلذلك الداعي يدعو الله أن يجنبه ويتعوذ بالله منها.

﴿وأعوذ بك من نفس لا تقنع﴾

(١) سفينة البحار / ج ٧.
(٢) سفينة البحار / ج ٧.
(٣) الميزانفي تفسير القرآن / ج ٧ / ص ٣٧٥.
(٤) الميزان في تفسير القرآن / ج ٨ / ص ٨٥.

القناعة ضد الحرص وهي ملكة للنفس توجب الإكتفاء بقدر الحاجة والضرورة من المال من دون سعي أو تعب في طلب الزائد عنه وهي صفة فاضلة يتوقف عليها كسب سائر الفضائل وعدمها يؤدي بالعبد الى مساوىء الأخلاق والرذائل وهي السبيل للوصول الى المقصد وأعظم الوسائل لتحصيل سعادة الأبد. إذ من قنع بقدر الضرورة من المطعم والملبس ويقتصر على أقله قدراً أو أخسه نوعاً ويرد أمله الى يومه أو الى شهره ولا يشغل قلبه بالزائد عن ذلك كان فارغ البال مجتمعه فيتمكن من الإشتغال بأمر الدين وسلوك طريق الآخرة ومن فاتته القناعة وتدنس بالحرص والطمع وطول الأمل وخاض في غمرات الدنيا تفرق قلبه وتشتت أمره فكيف يمكنه التشمر لتحصيل أمر الدين والوصول الى درجات المتقين ولذلك ورد في مدح القناعة من الأخبار حيث قال رسول الله ﷺ: « **طوبى لمن هدى للإسلام وكان عيشه كفافاً به** »[1].

ومن الأخلاق التي تولد القناعة في النفس هي العفة وفقدان الحرص والعقل والعمل بالإقتصاد في المعيشة فان من كثر خرجه واتسع إنفاقه لم يتمكن أن ينزل ساحة القناعة. وللقناعة ثمرات دنيوية وأُخرى أُخروية فالثمرات الدنيوية منها العزوف عن الطلب والعز وعدم الإغتنام وهي كذلك راحة للبدن أما الثمرات الأخروية فمنها سهولة الحساب ورضا الله منه باليسير من العمل.

وقد اشتهر جملة من الرجال العظام في التاريخ بالزهد والقناعة غير الأنبياء

---

(١) نهج البلاغة.

والأئمة عليهم السلام فمن العلماء الذين اشتهروا بالقناعة الخليل بن أحمد الفراهيدي الإمامي المذهب مؤسس علم العروض استاذه أبي عمرو بن العلاء ومن تلاميذه سيبويه، والخليل صاحب كتاب العين حيث جمع ما كان معروفاً في أيامه من ألفاظ اللغة وأحكامها وقواعدها وشروطها ورتب على أحرف الهجاء لكن على حسب مخارجها من الحلق، فبدأ بحرف العين وكان من عادة العرب أن يسمّوا الكتاب بأول لفظ من ألفاظه ككتاب الجيم للهروي[١] وغيره. وحكي عن الخليل أنه كان في فاقة وزهد لا يبالي بالدنيا حتى قال النضر بن الشميل[٢]: «كان الخليل يقاسي الضر بين أخصاص (أكواخ من القصب) البصرة وأصحابه يقتسمون الرغائب بعلمه في النواحي» وذكروا أن سليمان بن حبيب المهلبي وجه اليه من الأحواز لتأديب إبنه فأخرج الخليل الى رسول سليمان خبزاً يابساً وقال: كُل فما عندي غيره وما دمت أجده فلا حاجة لي الى سليمان. فقال الرسول: فما أبلغه؟ فقال:

أبلغ سليمان أني عنه في سعة　　وفي غنى غير أني لست ذا مال
شحاً بنفسي أني لا أرى أحداً　　يموت هزلاً ولا يبقى على حال
والفقر في النفس لا في المال نعرفه　　ومثل ذلك الغنى في النفس لا المال
فالرزق عن قدر لا العجز ينقصه　　ولا يزيدك فيه حول محتال

---

(١) الهروي هو أبو اسماعيل عبد الله، صوفي حنبلي شيخ خراسان في عصره، لُغوي محدِّث ومؤرخ. من كتبه (منازل السائرين) و (ذم الكلام وأهله) و (طبقات الصوفية). توفي عام ٤٨١هـ / ١٠٨٩م.

(٢) النضر بن الشميل: لغوي محدث من أهل مرو تعلم على الخليل بن أحمد الفراهيدي وعلى عرب البادية. أخذ عنه أبو عبيد. له (غريب القرآن) و (غريب الحديث) و (كتاب الصفات) في اللغة. توفي سنة ٨١٩هـ.

فلما بلغ سليمان ما قال الخيل لرسوله، كتب الى الخليل: ما مالك الذي أغناك عنا؟ فكتب اليه الخليل:

للناس مال ولي مالان ما لهما ... إذا تحارس أهل المال حراس
مالي الرضا بالذي أصبحت أملكه ... ومالي اليأس عما حازه الناس

وعن زهد الوحيد البهبهاني (قُدست نفسه الزكية) نقلوا عنه أنه وبعد إقبال الدنيا عليه فقد بقي على ملابسه البسيطة ولم يغير من بساطة حياته ثم الى سنين متأخرة من حياته كان يقوم بصلاة الإستئجار والصيام بصورة متواصلة، وعندما يقبض أثمانها يوزعها على تلاميذه المحتاجين وعندما عاتبه ابنه على ذلك كي يرحم بدنه الضعيف وقال له: ألا تفكر في نفسك؟ أجابه:

أنا في الحقيقة لا أفكر الا في نفسي حيث أُفكر بغدي ومستقبلي الحقيقي هو الآخرة وما تنفقوا من شيء تجدوه عند الله.

أما تلميذه الميرزا القمي (قدست نفسه الزكية) فقد بلغ من زهده أن الملك فتح شاه، شاه إيران، عرض عليه أن يزوّج ابنته الأميرة من ابنه الوحيد فتملص الميرزا ثم ظل يلح الشاه عليه، فظل يدعو أن يخلصه من هذه المحنة ولسان حاله يقول: ﴿ رب السجن أحب اليَّ مما يدعونني اليه ﴾ فجاءه خبر غرق ابنه الوحيد. والحقيقة إذا سردنا ما هو معروف من زهد علماءنا الأبرار كالشيخ مرتضى الأنصاري والسيد الروجردي والشهيد الصدر والامام الخميني (قُدست أسرارهم الزكية) لاحتجنا الى مجلدات ومجلدات لذلك.

﴿ وبطن لا تشبع ﴾

ومن البطن تأتي الآفات والأمراض ومصدر الشهوات ومنها تأتي أسباب التنافس ثم ذلك يأتي الرياء والتفاخر والتكاثر والعجب والكبر، ثم ذلك يدعو الى الحقد والعداوة والبغضاء وهذا بالتالي يقود صاحبه الى البغي والمنكر والفحشاء وذلك كله ينتج من إهمال المعدة وما يتولد منها من بطر الشبع وعلى عكس ذلك إذا ما عوّد العبد نفسه على الجوع فقد ضيّق مجاري الشيطان ولم يسلك سبيل البطر والطغيان ولم ينهمك في الدنيا والإنغمار فيما يفضيه الى الهلاك والردى. وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**جاهدوا أنفسكم بالجوع والعطش فإن الأجر في ذلك كأجر المجاهد في سبيل الله وإنه ليس من عمل أحب الى الله من جوع وعطش**» وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «**أفضل الناس من قل مطعمه وضحكه ورضي بما يستر عورته**» وقد شخّص الامام الصادق عليه السلام أسباب الأمراض فقال: «**كل داء من التخمة الا الحمى فانها ترد وروداً**».

وأسباب البطنة هو الطمع لأن الطمع يقود الى شدة الحرص ويختم على القلب بطابع حب الدنيا وحب الدنيا مفتاح كل معصية ورأس كل خطيئة وسبب إحباط كل حسنة، فالإنسان الشره يكون مفتوح المطامع ولا يرضيه شيء كما أن كثرة الطعام تسبب كثرة الغضب لما للطعام الكثير من أثر في الجسم بسبب التفاعلات الكيمياوة التي تحدث وإطلاق الغازات والأبخرة الى الدماغ واختلاط أنواع الأغذية في المعدة منها ما يؤذي الجسم إذا كثر أو إذا اختلط مع غيره فيكون له تأثير سلبي على الجهاز الهضمي وجهاز الإفراغ في الجسم وكثرة الطعام أيضاً له تأثير سلبي على الدماغ لذا نرى لقمان الحكيم عليه السلام يوصي ابنه: «**يا بني إذا امتلأت المعدة نامت الفكرة وفرست**

الحكمة وقعدت الأعضاء عن العبادة»[1]، والسبب لأن في حالة الشبع يذهب الدم الموجود في الدماغ فيميل الإنسان الى النوم وتفتر أعضاءه وتفتر الفطنة وتظهر البلادة وتحدث العلل الكثيرة وممن عُرف بالشره وحب الطعام وعدم الشبع معاوية بن أبي سفيان نتيجة دعوة الرسول الكريم عليه وكان يقول بعد الأكل: والله ما شبعت ولكن تعبت أضراسي.

وسليمان بن عبد الملك كذلك كان شديد النهم حيث مات نتيجة التخمة حيث كان صديقاً لديراني (صاحب دير نصراني) فقال له يوماً: ويحك لا تقطعني التي كنت تلطفني بها على عهد الوليد أخي فأتاه يوماً صديقه هذا بزنبيلين كبيرين في أحدهما بيضاً مسلوقاً وفي الآخر تبن فقال له سليمان: لقمنيه فكان يقشر البيضة ويقرنها بالتينة ويلقمه حتى أتى على الزنبيلين فأصابته تخمة عظيمة فمات.

﴿وقلب لا يخشع﴾

خص القلب بالخشوع لأن القلب إمام الجوارح أو قائد الجوارح فإن ما يفعل القلب تتبعه الجوارح لحاكميته عليها فإذا خشع القلب خشعت الجوارح لقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن رجل رآه يعبث بلحيته أثناء الصلاة **أما لو خشع قلبه لخشعت جوارحه**[2].

خشوع القلب بالإنكسار والخوف والتوجه أما خشوع الجوارح فهو بسكونها وخشوع البصر بغضه.

---

(١) البحار / ج ٧٥ / ص ٤٣٧.

(٢) بحار الانوار / ج ٨٤ / ص ٢٢٨.

والقلب الذي لا يخشع لا تصل له موعظة ولا تقبل منه صلاة لأن صلاته تكون بلا توجه، وقد سئل النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن الخشوع فقال: «**التواضع في الصلاة وأن يقبل العبد بقلبه كله على ربه عز وجل**»[1].

﴿ودعاء لا يسمع﴾

الدعاء الذي لا يسمع أي لا يجاب ومنه قول المصلي سمع الله لمن حمده أي تقبّل منه حَمْده وأجاب حمده وفي الدعاء اللهم اسمع دعائي أي أجبه لأن غرض السائل الإجابة لا السماع فقط وقوله تعالى: ﴿ **اسمع غير مسمع** ﴾ قيل كانت اليهود لعنهم الله تقول للنبي صلى الله عليه وآله وسلم: اسمع، وتقول: في أنفسهم لا سمعت، وقيل مسمع أي غير مجاب الى ما تدعونا اليه وفي الحديث أنه صلى الله عليه وآله وسلم سئل: أي الساعات أسمع، فقال: جوف الليل الأخير أي أخلق بالدعاء وأرجى للإجابة وقال الله تعالى: ﴿ ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم ﴾ حيث يعتبر السمع مصدر يقال على الواحد والجمع كما في الآية السابقة وقد يجمع على اسماع واستمعت له وأصغيت وسمعت اليه مثل سمعت له[2].

﴿وعمل لا ينفع﴾

والعمل الذي لا ينفع أي تمنعه الآثام والمعاصي من أن يقبل الله تعالى وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته: يتعوذون من العمل الذي لا ينفع، وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال

---

(١) مستدرك الوسائل / ج ١ / ص ١٠.

(٢) مصباح الكفعمي.

: « **ثلاثة لا ينفع معهن عمل: الشرك بالله وعقوق الوالدين والفرار من الزحف**»[1].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام قال: « **إن من عزائم الله في الذكر الحكيم التي عليها يثيب ويعاقب وبها يرضى ويسخط انه لا ينفع عبداً ـ وإن أجهد نفسه وأخلص فعله ـ أن يخرج من الدنيا لاقياً ربه بخصلة من هذه الخصال لم يتب منها: أن يشرك بالله فيما افترض عليه من عبادته أو يشفي غيضه بهلاك نفس أو يعر** (الإستقصاء في اللوم) **بأمر فعله غيره أو يستنحج** (يطلب نجاح حاجته) **حاجة الى الناس بإظهار بدعة في دينه أو يلقى الناس بوجهين أو يمشي فيهم بلسانين أعقل ذلك فإن المثل دليل على شبهة**»[2].

وهناك خصال لا يقبل عمل الا بها وهي: ورع يحجزه عن معاصي الله وخلق يداري به الناس وحلم يرد به جهل الجاهل[3].

﴿أعوذ بك يا رب على نفسي وديني ومالي وعلى جميع ما رزقتني من الشيطان الرجيم انك أنت السميع العليم﴾

يستعيذ ويستجير الداعي من الشيطان في البدء على نفسه حيث يمكن للإنسان أن يكون أداة طيعة بيد الشيطان يأمره فيأتمر ويفعل كل ما يريد منه اللعين أما كيف يحدث هذا؟ ولبيان ذلك يصور العلماء القلب كالهدف للرماة حيث يكون هدفاً لسهام الشياطين وأداتهم في ذلك الأفكار الشيطانية مثل الحسد وسوء الظن والكبر وغيره ويقول الامام الصادق عليه السلام : « **ان الشيطان أكثر على المؤمنين من الزنابير على**

---

(١) كنز العمال.

(٢) نهج البلاغة / خطبة ١٥٣.

(٣) بحار الانوار / ج ٧١ / ص ٣٩٢.

اللحم»[1] فإذا لم يصد تلك الأفكار التي توحيها له بالعقل وذكر الله تعالى تتحول هذه الأفكار الى عمل فتحرك هذه الأفكار الشيطانية الجوارح كالعين بالنظر الحرام واليد بالضرب أو السرقة والرجل الى الحرام وهكذا يكون الإنسان أداة الشيطان.

أما الأولاد والأموال فيشارك الشيطان بهما ويكون الشيطان له سهم في هذه الأموال والأولاد بمعنى أن يكون انفاق الأموال لغرض الشيطان وكل مال أُصيب من حرام وأُخذ من غير حقه والأولاد كل ولد زنا وحتى غير ولد الزنا كالطفل الذي ينبت لحمه من حرام والذي لا ينشأ تنشئة إسلامية ولا يتأدب بأدب الله تعالى فيجعل للشيطان منه سهماً.

﴿اللهم انه لا يجيرني منك أحد ولا أجد من دونك ملتحداً فلا تجعل نفسي في شيء من عذابك ولا تردني بهلكة ولا تردني بعذاب أليم﴾

يجيرني: يغيثني.

الملتحد: الملجأ.

إذا لم يجير العبد ربُه فلن يجيره أحد لأن الأمر والخلق لله تبارك رب العالمين واذا عذب العبد بشيء فلن يمنعه أحد منه لأن الأمر لله من قبل ومن بعد والداعي منا يستجير بالله من عذاب الله ومن هلكته وهو يجير ولا يجار عليه وله الحول والقوة.

وهذه الفقرة الجديدة يلهم بها الامام الداعي الابتداء بحاجات الآخرة وأهم حاجة هي أن لا يعذبه بعذابه الأليم.

---

(١) بحار الانوار / ج ٨١ / ص ٢١١.

﴿اللهم تقبل مني واعلي ذكري وارفع درجتي وحط وزري ولا تذكرني بخطيئتي واجعل ثواب مجلسي وثواب منطقي وثواب دعائي رضاك والجنة وأعطني يا رب جميع ما سألتك وزدني من فضلك اني اليك راغب يا رب العالمين﴾

الامام يسير الداعي على نمط متسلسل حيث تبدأ الفقرة بتمجيد الله تعالى وحمده وتعظيمه ثم يطلب ويعرض حاجاته لله تعالى وفي هذا المقطع كما دأب يطلب من رب العالمين تقبل أعماله وهو مطلب مهم جداً إذ ما فائدة العمل الذي لا يتقبل وقد ذكر الله تعالى الأعمال الغير متقبلة في قرآنه المجيد حيث قال: ﴿ وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءً منثوراً ﴾[1] وهو عمل الكافرين الذين لا يؤمنون بيوم القيامة حيث يجعل أعمالهم كالغبار عديم الفائدة ويطلب اعلاء الذكر، والذكر نوعان: ذكر في الدنيا وذكر في الآخرة، ففي الدنيا يكون الذكر في الولد الصالح والعمل الصالح كالعلم النافع للناس وخدمة الناس وغيرها وفي الآخرة ينادى على أقوام بأهل الفضل وعلى أقوام بأهل الصبر وعلى آخرين بجيران الله وعلى آخرين بالصالحين والمصدقين والقانتين وغيرها وهي أسماء وصفات جميلة مأخوذة من أعمالهم الطيبة في الدنيا. ويطلب كذلك رفع الدرجات ولا شك أن في الآخرة درجات كثيرة للتفاضل بين أهل الجنة وبين درجة واخرى مسيرة خمسمئة عام أما الوزر فهو في اللغة الثقل ويعبر بذلك عن الإثم والمعنى ضع عني إثمي ويطلب كذلك

---

(١) الفرقان / ٢٣.

أن لا يذكره الله بخطيئته في الآخـرة ويـعاتبه عـليها وأن يـجعل ثـواب مـجلسه ومنطقه ودعائه رضا الله تعالى عنه وهو أي الرضا سيوصله للجنة وأن يعطيه جميع ما سأله.

﴿اللهم إنك أنزلت في كتابك العفو وأمرتنا أن نعفو عـمن ظـلمنا وقـد ظلمنا أنفسنا فاعف عنا فإنك أولى بذلك منا وأمرتنا ان لا نرد سائلاً عن أبوابنا وقد جئتك سائلاً فلا تردني الا بقضاء حاجتي وأمرتنا بالإحسان الى ما ملكت أيماننا ونحن أرقاؤك فاعتق رقابنا من النار﴾

الإمام عليه السلام يلهم الداعي أن يورد ثلاث حجج يقدمها بين يدي الله تعالى لكـي يعفو عنه والحجة الأولى أمر الله تعالى العباد أن يعفو عن ظلمهم ومن أولى مـن الله تعالى بالعفو والمغفرة ولاسيما وأن الداعي يدعي بأنه ظلم نفسه.

والحجة الثانية قد أمر الله تعالى العـباد أن لا يـردوا سـائلاً والداعـي فـي هـذا الموقف أمام الله تعالى يقف بـانكسار وخـضوع هـو سـائل ويـطلب أن لا يـرده ولاسيما وهو يعرض حاجته أمام مصدر الغنى المطلق والرحـمة الواسـعة الجـواد الكريم.

والحجة الثالثة أن الله تعالى أمر بالإحسان الى العبيد ونحن عـبيد الله نـطلب أن يعتق رقابنا من النار وهذه الأمور الثلاثة التي يعرضها الداعي أمام الله تعالى هي من أخلاق الله تعالى ويطالبنا بالإختلاق بأخلاقه.

﴿يا مفزعي عند كربتي ويا غوثي عند شدتي اليك فـزعت وبك اسـتغثت ولذت لا ألوذ بسواك ولا أطلب الفرج الا منك فأغثني وفرج عني يـا مـن يـفك

الأسير ويعفو عن الكثير إقبل مني اليسير واعف عني الكثير إنك أنت الرحيم الغفور ﴿

وهكذا يبدأ بفقرة جديدة يستنجد بها بالله تعالى حيث اليه المفزع والغوث وبه الإستجارة.

﴿ اللهم إني أسألك إيماناً تباشر به قلبي ويقيناً صادقاً حتى أعلم أنّه لن يصيبني الا ما كتبت لي ورضّني من العيش بما قسمت لي يا أرحم الراحمين ﴿

الإيمان تصديق بالقلب يظهر على الجوارح بالعمل ويبدأ الإيمان بشهادة لا إله الا الله محمد رسول الله ثم يرتقي المؤمن بالإيمان حيث للإيمان عشر درجات مثل درجات السلم وهناك خصال تستكمل فيها حقيقة الإيمان فعن الإمام الصادق عليه السلام قال: « **لا يستكمل عبد حقيقة الإيمان حتى تكون فهي خصال ثلاث: الفقه في الدين وحسن التقدير في المعيشة والصبر على الرزايا** »[1].

أما ما يخرج العبد الى الإيمان فهي خمسة على الإجمال وهي: الكفر والشرك والضلال والفسق وركوب الكبائر.

ويعرف الإمام الصادق عليه السلام الكفر حيث يقول: « **معنى الكفر كل معصية عصى الله بها بجهة الجحد والإنكار والإستخفاف والتهاون في كل ما دق وجل وفاعله كافر فإن كان هو الذيمال بهواه الى وجه من وجوه المعصية لحجة الجحود والإستخفاف والتهاون فقد كفر** »[2].

---

(١) بحار الانوار / ج ٧٨ / ص ٢٣٩.

(٢) وسائل الشيعة / ج ١ / ص ٢٤، ٢٥.

أما الضلال فقد قال الراغب في غريب القرآن هو العدول عن الطريق المستقيم ويضاده الهداية، قال الله تعالى: ﴿ فمن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها ﴾، ويقال للضلال لكل عدول عن المنهج عمداً أو سهواً يسيراً أو كثيراً فإن الطريق المستقيم هو المرضي وهو صعب جداً، قال النبي ﷺ: «استقيموا ولن تحصوا» وقال بعض الحكماء: «كوننا مصيبين من وجهٍ وكوننا ضالين من وجوه كثيرة فإن الإستقامة والصواب يجري مجرى المقرطس من المرمي وما عداه من الجوانب كلها ضلال ولما قلنا روي عن بعض الصالحين أنه رأى النبي ﷺ في منامه فقال: يا رسول الله يروى لنا أنك قلت شيبتني سورة هود وأخواتها فما الذي شيبك منها؟ فقال: قوله: ﴿ فاستقم كما أُمرت ﴾ والضلال ترك الطريق المستقيم عمداً كان أو سهواً قليلاً كان أو كثيراً والضلال على نوعين:

ضلال في العلوم النظرية كالضلال في معرفة الله تعالى ووحدانيته ومعرفة النبوة ونحوهما المشار اليهما بقوله: ﴿ ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالاً بعيداً ﴾ والنوع الآخر ضلال في العلوم العملية كمعرفة الأحكام الشرعية التي هي العبادات والضلال البعيد أشار الى ما هو كفر كقوله على ما تقدم من قوله: ﴿ ومن يكفر بالله ﴾ وقوله: ﴿ إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله قد ضلوا ضلالاً بعيداً ﴾ وكقوله: ﴿ أُولئك في العذاب والضلال البعيد ﴾ أي في عقوبة الضلال البعيد، وعلى ذلك قوله: ﴿ إن أنتم الا في ضلال كبير ﴾ وقوله تعالى: ﴿ قد ضلّوا من قبل وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل ﴾ وقوله: ﴿ أئذا ضللنا في الأرض ﴾ كناية عن الموت واستحالة البدن، وقوله: ﴿ ولا الضالين ﴾ فقد قيل عنى بالضالين

النصارى، وقوله: ﴿ في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى ﴾ أي لا يضل عنها ربي ولا تضل عن ربي أي لا يغفلها، وقوله: ﴿ كيدهم في تضليل ﴾ أي في باطل وإضلال لأنفسهم والإضلال ضربان أحدهما: أن يكون سببه الضلال وذلك على وجهين: إما أن يضل عنك الشيء كقولك أضللت البعير أي ضل عني وإما أن تحكم بضلاله والضلال في هذين سبب الإضلال. والضرب الثاني: أن يكون الإضلال سبباً للضلال وهو أن يزين للإنسان الباطل ليضل، كقوله تعالى: ﴿ لهمت طائفةٌ منهم أن يضلوك وما يضلون الا أنفسهم ﴾ أي يتحرون أفعالاً يقصدون بها أن تضل فلا يحصل من فعلهم الا ما فيه ضلال أنفسهم[١].

أما الفسق فقد عرّفه الامام الصادق عليه السلام بقوله: « **معنى الفسق كل معصية من معاصي الكبار فعلها فاعل أو دخل فيها داخل بجهة اللذة والشهوة والشوق الغالب** »[٢].

وقد أوردت هنا معنى الكفر والضلال والفسق أما الشرك وركوب الكبائر فقد مر ذكرهما من قبل وهذه الأمور كما ذكرنا هي التي تخرج العبد من الإيمان.

وطلب الداعي كذلك اليقين الصادق ومعنى اليقين هو اشتداد الإدراك الذهني بحيث لا يقبل الزوال والوهن[٣] وقد طلب اليقين لأن اليقين أعز من الإيمان أي أقل كما إن الإيمان أعز من الإسلام لأن الإسلام قول باللسان والإيمان قول باللسان وإقرار بالقلب وعمل الأركان وعلى هذا قال الامام الصادق عليه السلام في قلة اليقين:

---

(١) مفردات غريب القرآن.

(٢) بحرا الانوار / ج ٦٨ / ص ٢٧٩.

(٣) الميزان / ج ٢ / ص ٢٤٨.

«لم يقسم بين العباد أقل من خمسة اليقين والقنوع والصبر والشكر والذي يكمل به هذا كله العقل»(١) وكذلك روي عن أبي بصير قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: **«يا أبا محمد الإسلام درجة قال: قلت نعم. قال: فما أُوتي الناس أقل من اليقين وإنما تمسكتم بأدنى الإسلام فإياكم أن ينفلت من أيديكم»**(٢) وسأل أمير المؤمنين عليه السلام الحسن والحسين عليهما السلام فقال لهما: **ما بين الإيمان واليقين؟ فسكتا، فقال للحسن: أجب يا أبا محمد قال: بينهما شبر قال: بينهما شبر قال: وكيف ذلك؟ قال: لأن الإيمان ما سمعناه بآذاننا وصدقناه بقلوبنا واليقين ما أبصرناه بأعيننا واستدللناه به على ما غاب عنا»**.

وقد جعل الشيخ المجلسي قدس سره لليقين ثلاث درجات:

١ ـ علم اليقين وهو العلم الذي حصل بالدليل كمن علم وجود النار برؤية الدخان.

٢ ـ عين اليقين وهو إذا وصل حد المشاهدة كمن رأى النار.

٣ ـ حق اليقين وهو كمن دخل النار واتصف بصفاتها والحق هو العلم من حيث أن الخارج والوقاع يطابقه واليقين هو العلم الذي لا لبس فيه ولا ريب فإضافة الحق الى اليقين نحو الإضافة البيانية جيء بها للتأكيد(٣). وللموقن علامات، فعن الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم: **«... أما علامة الموقن فستة: أيقن بالله حقاً فآمن به وأيقن بأن الجنة حق فاشتاق إليها وأيقن بأن النار حق فظهر سعيه للنجاة منها وأيقن بأن الحساب حق فحاسب**

---

(١) البحار / ج ٧٠ / ص ١٧٣.

(٢) أُصول الكافي / ج ٢ / ص ٥٢.

(٣) الميزان في تفسير القرآن / ج ١٩ / ص ١٤٠.

نفسه»[1].

أما شعب اليقين فهي أربعة، فعن الإمام علي عليه السلام قال: **«على تبصرة الفطنة وتأول الحكمة وموعظة العبرة وسنة الأولين فمن تبصر في الفطنة تأول الحكمة ومن تأول الحكمة عرف العبرة ومن عرف العبرة فكأنما عاش في الأولين»**[2] والفطنة تعني الذكاء والإنتباه والتبصرة التأمل واستقصاء النظر اليه ومعنى العبارة: التأمل واستقصاء النظر بذكاء لجميع الأمور فهذا يوصل الى تأويل الحكمة والتأويل يعني التفسير أما الحكمة فهو الكلام الموافق للحق وصواب الأمر وسداده والموعظة ذكر ما يحمله على التوبة الى الله وإصلاح السيرة. وسنة الأولين يعني طريقة الأولين أما ما يفسد اليقين فالشك وغلبة الهوى والحرص والطمع والجدل في الدين وخلطه أبناء الدنيا.

اللّهم صلّ على محمّد وآل محمد وأسألك بكرمك أن تمن عليَّ من عطائك بما تقر به عيني ومن رجائك بما تطمئن به نفسي ومن اليقين بما تهون به عليَّ مصيبات الدنيا وتجلو به عن بصيرتي عشوات العمى برحمتك يا أرحم الراحمين وتقبل مني يا من يقبل اليسير ويعفو عن الكثير إقبل مني اليسير واعف عني الكثير.

تم الكتاب بحمد الله وتوفيقه في يوم المباهلة العظيم ٢٤ / ذي الحجة سنة ثمانية عشر وأربعمائة بعد الألف من الهجرة والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على حبيبنا وسيدنا محمّد بن عبد الله وعلى آله وسلم تسليماً.

---

(١) تحف العقول.

(٢) بحار الانوار / ج ٧٢ / ص ٩٠.

الفهرست